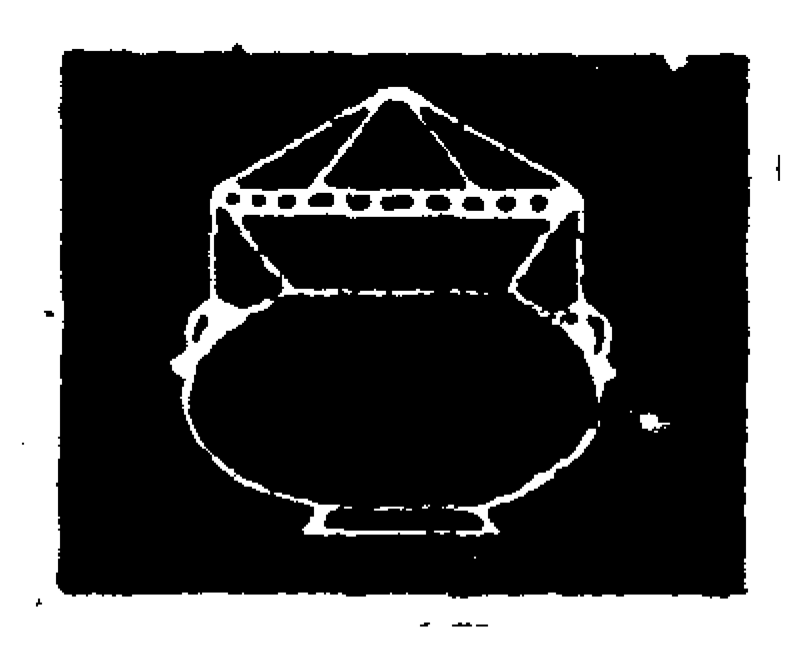
الدين والدولة العصرية



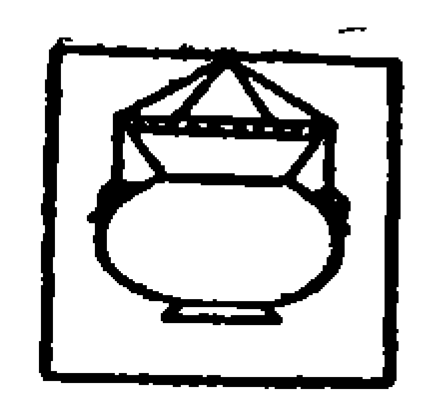
كتاب الجمهورية الديني

محمود الشرقاوي



كتاب الجمهورية الديني

اول سبتمبر



الدين والدولة العصرية

محمود الشرقاوى



الاسلام دين عام شامل ، يتناول شئون الحياة جميعاً ، ونظام كامل ، ينتظم أمور الدين والدنيـــا معا ، قام بنشره والدعوة اليه الهداة من السلف الصالح ، فنجحوا فى تزكية النفوس ، وتطهير القلوب ، بقدر ما أصلحوا من دنيا الناس ، وبلغوا فى ذلك شأواً لم ينله أحد من المصلحين ، أو كبـــار الفلاسفة المربين .

وكان القرآن المجيد هاديهم ومرشدهم الى الحق ، والى الصراط المستقيم .. ثم كان أن أهمـــل كثير من المسلمين حقائق دينهم ، وغفلوا عن المعانى النبيلة ، التى كانت سـببا فى عزهم ومجدهم ، فرجعوا القهقرى فى فهمهم للدين وتقلبهم فى شئون الدنيا .

فليس من الصحيح اذن ، ما يزعمه بعض كتاب الغـرب من أن الاسلام هو المسئول عن تخلف بعض المسلمين عن المدى الذى بلغتــه بعض الشــــعوب الغربية ، بل المسئول هم المسلمون أنفسهم ، والدول الغربية المستعمرة .

وذلك أن الاسلام فى القرون الاولى كان الدستور العام للمسلمين كفل لهم العزة والمنعة ، والسيـــيادة والحضارة ،

وصيرهم رواد العالم الى العلم والفكر والمدنية . ومازالت الدراسات الغربية (١) المنصفة تشيد بفضل المسلمين الذى لا يمكن انكاره . فلو أن الاسلام كان معوقا عن الرقى والتقدم لعجز اتباعه عن أن يبلغوا المركز الممتاز الذى بلغوه ، وما استطاع أن يخرج من أبناء الصحراء ساسة العالم وهداته ، وأساتذته فى أقل من قرن واحد .

ونظرة عجلى على التاريخ الاسلامى ، بعد القرون الثلاثة الاولى ، تبين لنا أن المجتمعات الاسلامية قد تحللت من المثل والمبادىء التى جاء بها الدين القيم ، فتفرقت بعد وحدة ، ووهنت بعد قوة ، وتقسمت الدولة الكبرى الى امارات ودويلات ، يحارب بعضها بعضا ، ويستعين بعضها على بعض أعداء الاسلام .

وكان هذا التفرق هو الذى أطمع فيهم المغيرين من التتار ، والروم ، والقوط ، فهجموا على ديارهم ، وخربوا ما شاده المسلمون ، وعوقوا تقدمهم .

ثم جاء الاستعمار الغربى المتستر بصليب المسيح ـ وهو أبعد ما يكون عن تعاليم هذا المعلم العظيم ـ فشن حربا ضروسا على المسلمين ، فزادت المسلمين وهنا على وهن ، وضعفا على ضعف .

ولم يكد المسلمون يفيقون حتى جاء الاستعمار الغربى الحديث ، فاعمل معاوله الهدامة فى كيان المسلمين من دين

---

(١) راجع على سبيل المثال : حضارة العرب لجوستاف لوبون ، وروح الحضارة العربية لهانز هيترش شيدر ، وشمس العرب تسطع على الغرب ـ أثر الحضارة العربية فى أوربا لزيغرد هونكه .

واخلاق وعلم واقتصاد ، فلم يتوقف المسلمون عن التقـــدم فحسب ، بل رجعوا القهقرى .. وارتدوا على اعقابهم ، على حين ان الامم الغربية كانت تشق طريقها الى الامام .

فالتبعة اذن ، على الاستعمار ، وعلى المسلمين ، لا على الاسلام .

ولو ان الاسلام هو المسئول عن ضعف أتباعه لما تقـدم المسلمون فى مختلف مجالات الحياة عندمـــا كانوا يسيرون على هدى القرآن المجيد ، ولما تأخروا حينما تهـــاونوا فى الاهتداء بتعاليمه .

....

وهذا الكتاب ـ الذى أقدمه للقارىء العزيز ـ بحوث فى القرآن الكريم وفى الاسلام يسرنى أن أساهم به فى مجــال بناء المجتمع الجديد الذى نبنيه ، مجتمع الكفاية والعدل .

والله ولى التوفيق ، والهادى الى سبل الرشاد .

محمود على الشرقاوى

القرآن والأمة العربية

ان القرآن المجيد الذى يتلى آناء الليل وأطراف النهار ، فى جميع أرجاء العالم بلفظه العربى ، يحمل الأمة العربية قبل غيرها — وأكثر من غيرها من الامم — مسؤولية ضخمة أمام الله العلى القدير . وتحتاج هذه المسؤولية الى تنبه ووعى والى استعداد وعمل دائم والى نضال مستمر وكفاح مرير ، ذلك أن هذا الكتاب العظيم جاء بمبادىء انسانية فخاطب الناس جميعا دون تخصيص ، وذكر فيه الإنسان أى انسان فى مراحل خلقته وأطوار تكوينه وفى طبائعه ونفسيته وأتى بمفاهيم انسانية للحق والعدل والخير ..

يقول الله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم » .

ويقول جل جلاله : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

هذا الكتاب العظيم فى تعاليمه ، العالمى فى دعوته قضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يبدأ تبليغه لأمة بعينها وأن ينزل أولا فى جوها ووسطها وبين أفرادها وأن يصاغ بلغتها وتعابيرها ، وأن تكون هى التى تعيه أولا ثم تبلغه للناس جميعا فى شتى بقاع الأرض .

لقد أصبح بين القرآن — ذلك الكتاب الالهى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — وبين الأمة العربية صلة خالدة لا تفصم ورابطة سرمدية لا تفك ، وهى الصلة بين رسالة عالمية ، وأمة مبلغة ، ولغة معبرة .

وقضت ارادة الله أن يكون الرسول العالمى الانسانى المبعوث رحمة للعالمين من بين هذه الأمة العربية :

« لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (١) «آل عمران »

وفى كل ذلك تقرير لشأن العرب السياسى ، وغير السياسى بما لا يتحمل مراء . أن العرب (٢) مدعوون بالهام القرآن الى تحمل واجب هذه الشأنية ، التى لا يرى فيها بقية المسلمين غضاضة ، لأنها من ملهمات كتابهم

---

(١) قال البيضاوى فى تفسير الآية : من أنفسهم ، أى من نسبهم أو من جنسهم عربيا ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة .

(٢) محمد عزة دروزة : الدستور القرآنى فى شئون الحياة ، ص ٩٢ .

القدس ، ولأنها لا تعنى استعلاء ، ولا اذلالا ولا استغلالا ، لأن تميزالعرب هذا مقيد بقيود القرآن والسنة التى تحفظ لكل مقامه ، وتؤدى كل ذى حق حقه بل ان هذا التميز ، ماكان للعرب الا بالاضافة الي الاسلام ، الذى اشرق أول ما اشرق فى صميم بلادهم ، وتنزل وحيه على رسول منهم حمل عبئه وأوذى فى سبيله ، وبذل له من ذات نفسه ، وخاطب أول ما خاطب قومه العرب ، رباهم عليه حتى خالط نفوسهم ، وامتزج بمشاعرهم ، وانطبعت بطابعه حياتهم كلها .

تذوقوا هديه ببصيرة وعقل ، فجعلوه لهم ناموسا ، واستجابوا لأمر الله الذى شرفهم بالقوامة عليه ، فنشروه فى الآفاق دستورا انسانيا عاما . لقد انخلعوا فى سبيله من ملكيتهم لانفسهم ، ونذروها لله ، وجندوا رجولتهم كلها ، وخصائصهم كلها ، وطاقاتهم كلها ، وساروا بمعادن نفوسهم التى صهرها أتون الصحراء ، وصاغها الاسلام على ابدع نظام ، وصقلتها صحبة الرسول وقيادته ، كافحوا ينقذون البشر من عبودية البشر ، وانطلقوا يعاملون الناس بالرفق ويدعونهم الى المنجاة .

« كان (١) أهل الارض يوم قام الرسول يهدى من الضلالة وينقذ بمكانة من الجهالة — كما قال على بن أبى طالب — مللا متفرقة ، وأهواء منتشرة ، وطوائف مشتتة

---

(١) محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية : جـ١ ص ١٣٥–١٣٦

بين مشبه لله بخلقه ، أو ملحد في اسمه ، أو مبشر الى غيره ، ضلالا في حيرة ، وخابطين في فتنة ، فقد استهوتهم الأهواء ، واستنزلتهم الكبرياء ، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء ، حيارى في زلزال من الأمر ، وبلاء من الجهل .
وأرسل الرسول على حين فترة من الرسل ، وطول هجعة من الأمم ، واعزام مبين الفتن ، وانتشار من الأمور وتلفظ من الحروب ، والدنيا كاسفة النور ، ظاهرة الغرور . .
جمع الاسلام من شمل العرب تشتتهم ، وآخى بينهم مؤاخاة ما عهدوها ، وهذب نفوسهم حتى سلس قيادهم بعد شماسة ، وثقفهم ثقافة افادوا بها ففادوا بالأهل والوليد ، والنفس والمال في نصرة دينهم ، فامتن تعالى عليهم بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

أناس أصبح هذا حالهم لا يستعظم عليهم أن يفتحوا في سنين قليلة الشام والعراق وفارس ومصر والجزيرة والروم والسند وبخارى والمغرب والأندلس وجزر البحر المتوسط ، وأن يضعوا الجزية على ملك الصين ، والتوفيق حليف رايتهم أينما حلت ، ويخطيء من يدعي أن العرب كانوا

نصف متوحشين أو نصف متمدينين حين خرجوا من جزيرتهم ففى تعاليم الرسول الكريم ، ما يدحض هذه الفرية .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم لجنده :

انطلقوا باسم الله (تعالى) ولله ، وعلى بركة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ، ولا امرأة ، ولا تغلوا وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا ، ان الله يحب المحسنين .

فى هذه الوصية قوله عليه السلام : « سيروا باسم الله فى سبيل الله وقاتلوا أعداء الله ولا تغلوا « اى تخونوا » ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الذرية » ويقول عليه السلام لخالد بن الوليد :

« لا تقتل ذرية ولا عسيفا (اى اجيرا) » .

وتلك وصيته لأبى بكر الصديق رواها الامام احمد فى مسنده ، وهذا نص ما جاء فى المسند :

عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر بعث الجيوش الى الشام ، وبعث يزيد بن أبى سفيان أميرا ، وهو يمشى ويزيد راكب ، فقال يزيد اما أن تركب ، واما أن انزل ، فقال الصديق : ما انا براكب ، وما انت بنازل ، انى أحتسب خطاى فى سبيل الله ، انك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم وما زعموا ، وستجد قوما قد

فحصوا أوساط رؤوسهم من الشعر ، وتركوا منها أمثال العصائب فاضربوا ما فحصوا بالسيف وانى موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ، ولا صبيا ، ولا كبيرا هرما ، ولا تقطعن شجرا مثمرا ، ولا نخلا ، ولا تحرقها ، ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة ، ولا بقرة ، الا لمأكلة ، ولا تجبن ولا تغلل .

ان خليفة يقول لقائده هذا مضمون له النصر العزيز ، لأنه يملى عليه أجمل وأكمل عظة فى العدل والاحسان . .

وفى القرآن الكريم آيات صريحة تدل على أن الاسلام يقر حرية العقيدة وأنه لا يكره الناس على الدخول فيه بوسيلة من وسائل الاكراه . يقول القرآن الكريم :

ـ « لا اكراه فى الدين » .

ويقرر هذه الحقيقة مؤلف مسيحى فى كتابه عن « قصة العرب فى اسبانيا » فيقول (١) :

ثم أخذ الناس بعد قليل يشعرون بأنهم أفادوا من تغير الحكم ، فقد كان للاسبانيين أن يحتفظوا بشرائعهم وقضاتهم ، وعين لهم حكام من أنفسهم يديرون المقاطعات ويجمعون الضرائب ويفصلون فيما شجر بينهم من خلاف ، واصبح سكان المدن لا يكلفون الا الجزية ـ والخراج ان كانت لهم أرض تزرع ـ بعد أن كانوا فى عهد القوط يحملون وحدهم عبء الضرائب والاموال التى تنفق على الدولة وقصرت الجزية على المخالفين فى الدين . أما ضريبة

---

(١) قصة العرب فى اسبانيا تأليف ستانلي لين بول وترجمة علي الجارم.

الأرض فانها فرضت بعدل ومساواة على النصارى واليهود والمسلمين جميعا . ولم يدع التسامح الدينى للاسبانيين سببا للشكوى فقد تركهم العرب يعبدون ما يشاؤون من غير أن يضطهدوهم أو يلزموهم اعتناق عقيدة خاصة كما كان يفعل القوط باليهود . وكان من أثر هذه المعاملة وذلك التسامح أن رضى المسيحيون بالنظام الجديد، واعترفوا صراحة انهم يؤثرون حكم العرب على حكم الافرنج أو القوط .

كان للقرآن الكريم تأثير عميق فى حياة العرب ، فقد بعث فى قلوبهم حب العمل والتفانى والاخلاص فى خدمة الدين .. وفتح لهم آفاق العلم والمعرفة .. وفى القرآن آيات تدعو الى ايقاظ العقل واعمال الفكر والنعى على الاخذين بالظنون والاوهام .

قال تعالى :

« قل انظروا ماذا فى السموات والارض » (١) .

« أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (٢) .

ولا شك أن هذا النمط من الآيات الجامعات والأقوال البينات ، فيه ما يرشد الناس الى التفكير فى الكون وخبايا الأرض وأسرار الحياة وقوانينها والتطلع الى خفايا

---

(١) سورة يونس : ١٠١

(٢) سورة الحج : ٤٦

الوجود . وبهذا ينطلق العقل البشرى باحثا منقبا متطلعا مما يؤدى الى الوصول الى دقائق الحقائق فى الوقوف على نظام هذا الكون وموجوداته على تعـــددها وتباينها وتعقدها (١) »

ويرى بعض المفكرين ان الدين الذى يقول للنـــاس : « ويخلق ما لا تعلمون » (٢) قد فتح أمامهم « باحة اللانهاية فلا يدع أنفسهم فى حاجة الى السؤال عن الحدود والغايات » وأباح للعقول أن تجول فى كل مجال وأن تجوس خـلال كل مجهول »

وفى رأى الباحثين أن هذه الآيـات وأمثالهـا من التى وردت فى القرآن الكريم كانت من عوامل اندفاع المسلمين بعد وفاة النبى « وراء العلم اندفاعهم وراء الحيـــاة » ، فرأوا فى العلم الحياة ، وأن الحياة لا تكون غزيرة ولا معنى لها اذا ابتعدت عن العلم وشطت عن قواعده وأصوله (٣)

قال ول ديورانت يصف عالم الفكـر العـــربى فى ذلك العصر (٤) :

كان التعليم عاما وبالمجان أو بنفقات بسيطة جدا يقدر على تحملها جميع الناس ، وكان المعلم يتقاضى أجرا زهيدا للغـــاية من كل تلميذ ، أما بقيـــة مصروفاته فكان يحصـــل

(١) قدرى حافظ طوقان : مقام العقل عند العرب ص ٢٦ .
(٢) سورة النحل : ٨
(٣) المصدر السابق : ص ٢٨ .
(٤) قصة الحضارة ، جـ٤ ص ٢٣٥-٢٣٧ .

عليها من محبى الخير ، وأنحصر منهاج الدراسة فى تعليم الغلام ، الفروض الضرورية فى العبادة الاسلامية وما يكفى من مبادىء القراءة للاطلاع على القرآن ، ذلك بالاضافة الى شيء من علوم الدين والتاريخ والاخلاق والقانون ، وكان الغرض من التعليم الابتدائى ينحصر فى تكوين شخصية الفرد ، أما التعليم الثانوى فمن أجل الحصول على المعرفة كان المعلم يجلس فى الجامع ومن حوله تلاميذه ، يلقى عليهم الدروس فى تفسير القرآن والحديث وعلوم الدين والقانون .

ولسنا نعرف بالضبط التاريخ الذى وضعت فيه هذه المدارس تحت اشراف الحكومة وعلى نفقتها .

وأضيف الى منهاج الدراسة الاساسى وهو علوم الدين ، علوم الصرف والنحو وفقه اللغة والخطابة والمنطق والرياضيات والفلك .

وعنى عناية فائقة بالنحو ، باعتبار أن اللغة العربية هى أكمل اللغات تقريبا ، وكان استعمالها صحيحة ، دليل على السيادة والنضوج . وكان التعليم فى هذه المعاهد أيضا بالمجان ، وتشترك الحكومة بعض الأحيان مع محبى الخير فى دفع نفقات الاساتذة والطلبة على السواء .

وكان طالب العلم يسافر من أحد اطراف الدولة الاسلامية الى الطرف الآخر ليتلقى الدرس على معلم شهير ، حتى لقد أنبغى على كل طالب يريد الحصول على

منزلة رفيعة ، أن يتلقى العلم على أيدى أساتذة مكة وبغداد ودمشق والقاهرة ، واستطاعت هذه العالمية فى الآداب أن تجد السبيل ميسرا ، ذلك بأنه عن طريق الاسلام ـ بغض النظر عن اختلاف الشعوب ـ كانت لغة التعليم والأدب هى اللغة العربية .

ولا ريبة فى ان اى أجنبى اذا ما دخل أية مدينة اسلامية كان فى مستطاعه ان يستمع فى أية ساعة من ساعات النهار الى محاضرة تعليمية فى المسجد الرئيسى ، أما طالب العلم المتجول ، فكان فى أحيان كثيرة لا يحصل على التعليم بالمجان فحسب ، وانما يحصل كذلك على الطعام والمسكن ، ولم تكن تعطى شهادات علمية ، ولكن يحصل الطالب على اجازة من أستاذه . أما منهاج التعليم النهائى ، فتعريف الطالب بالآداب العامة من حيث حسن المعاملة والذوق السليم ، والفطنة والكياسة ، وعموما ما يجب أن يتصف به السيد المهذب من مكارم الأخلاق .

وعرف العرب صناعة الورق عندما اختلطوا بالصينيين بعد فتح سمرقند ، وتأسست أول صناعة للورق فى بغداد سنة ٧٩٤ م على يدى الفضل فى عصر هرون الرشيد ، ثم أدخل العرب هذه الصناعة فيما بعد الى أسبانيا وصقلية ومن ثمة انتقلت الى ايطاليا وفرنسا ، وكان ادخال هذا الاختراع سببا فى انتشار الكتب فى كل مكان ، ويدلنا اليعقوبى على نه كان فى زمانه (٨٩١ م) أكثر من مائة بائع للكتب (وراق) فى بغداد ، وأن محلاتهم كانت مراكز

للنسخ والخطاطين والمنتديات الادبية ، وكان كثير من طلاب العلم يكسبون عيشهم عن طريق نسخ المخطوطات وبيعها لتجار الكتب (الوراقين) .

وفى القرن العاشر سمعنا عن جامعى الامضاءات ،وعن جامعى الكتب الذين يدفعون مبالغ طائلة فى سبيل الحصول على مخطوط نادر ، وكان المؤلفون لا يربحون ربحا ماديا من مؤلفاتهم ، فكانوا اما أن يعيشوا عيش الكفاف أو على هبات الامراء والاغنياء . ألحق باغلب الجوامع مكتبات عامة ،وكان يوجد فى بعض المدن مكتبات تضم كتبا قيمة ، يباح الاطلاع عليها للجميع ، وحوالى ٩٥٠ م أسس بعض محبى الخير مـكتبة فى الموصـل ، كان الطلبــة يتزودون فيها بالورق والكتب ، وكانت الكتب التى تحتـوى عليهـا مكتبـة الرى العمومية مسجلة فى عشرة أجزاء من الفهارس .

اما مكتبة البصرة فكانت تمنح معاشات شهرية للعلمـاء المشتغلين فيها ، وقضى ياقوت الجغرافى ثلاث سنوات فى مكتبة مرو وخوارزم يجمع معلومات لقاموسه الجغرافى ، ولما قوض المغول بغداد ، كان بها ست وثلاثون مكتبة عامة ، اما المكتبات الخاصة فكانت لا تحصى ، ولقد رفض احـــد الاطباء دعوة سلطان بخارى للاقامة ببلاطه ، لانه يحتاج الى اربعمائة بعير لنقل مكتبته .

ولما مات الواقدى ، ترك ستمائة صندوق من الـكتب يحتاج كل منها الى رجلين لحمله ، وربما ملك الصاحب بن عباد من الكتب فى القرن العاشر ما يقدر حينئـذ بما كان

فى مكتبات أوربا مجتمعــة ، وبلغ الاســلام فى ذلك الوقت اوج حياته الثقافية ، وكنت تجد فى ألف مسجد منتشرة من قرطبة الى سمرقند ، علماء لا يحصيهم العـــد ، كانت تدوى أركانها بفصاحتهم .

وكانت جميع مسالك العالم الاسلامى تعج برجال الدين والجغرافيين والمؤرخين الذين لا يحصيهم العد ، انتشروا فى الارض بحثا وراء المعرفة والحكمة ، وكانت قصور مائة امير تتجاوب اصداؤها بالشعر والمناقشات الفلسفية ، ولم يكن هناك من رجل يجرؤ على ان يكون مليونيرا من غير ان يعاضد الادب او الفن ، ولقد استطاع العرب أن يســتوعبوا ما كان عند الامم المغزوة من ثقافات بما اتصفوا به من سرعة الخاطر وقوة البديهة ، حتى لقد أظهر الغــزاة كثيــرا من التسمح تلقاء الشعراء والعلماء والفلاســـفة الذين جعلوا حينئذ من اللغــة العربيــة أوســع اللغــات علما وأدبا فى العالم بحيث ظهر العرب الأصلاء وكأنهم قلة بالنســبة الى مجموعهم .

ولقد قوى علماء الاسلام فى هذا العصر من اسس الادب الرفيع بما بذلوا من مجهود فى قواعد النحو ، التى زودت العربية بمسحة من المنطق والمعايير السامية،وفى قواميسهم التى جمعت تلك الثروة الواسعة من مفردات اللغة على صورة فريدة من الضبط والدقة والاحكام ، وبما جمعوا من دواوين الشعر والحكمة والموسوعات التى حفظت كثيرا مما كان من الممكن أن يفقد لولاها ، وبما وجهوا من عناية النقد نحـــو

المتون والادب والتاريخ ، واننا اذ نغفل اسماءهم ، لايسعنا الا أن نعبر عن امتناننا بأن نحيي ثمرة مجهودهم (١) . أن المبادىء النبيلة التى قامت عليها أسس الدولة العربية وأدت الى هذه الوحدة الكبرى ، وهذا النشاط الفكرى الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ الانسان كانت تستهدف حماية جميع رعاياها بغض النظر عن معتقداتهم الدينية او اجناسهم أو ألوانهم فلا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، قد جعلت منهم جميعا وحدة تهدف الى خدمة الانسانية وتعمل بكل طاقاتها ، وامكانياتها على الرقى بها ، والنهوض بعلومها وصناعاتها ، مما ادى بدرره الى هذه الحضارة العربية السامقة ، التى أخذت تهز الانسان هزا شديدا فى شرق الارض ومغربها عدة قرون ، ليفلت من جهالاته ويفيق من خدر القرون السود ، ليستقبل عصر العلم والنور .

وفى اسبانيا ، عمد العرب بعد فتحها ، الى نشر رسالة الحضارة فيها .

سار العرب بالانسانية فى موكب التقدم والرقى ، فقد توفرت فيهم الصفات التى تؤهلهم للقيام بدور حضارى ، وأداء رسالة انسانية سامية فى الحياة .

أولا : أنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة الهية ، فلا يقننون ولا يشترعون من عند أنفسهم ، ولا يخبطون فى سلوكهم وسياستهم ومعاملتهم للناس خبط عشواء ، قد

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ٤ ص ٣١٩ .

جعل الله لهم نورا يمشون به في الناس ، وجعل لهم شريعة يحكمون بها بين الناس .

ثانيا : انهم تولوا الحكم والقيادة بعد تربية خلقية وتزكية نفس ، فقد مكثوا طويلا تحت تربية محمد صلى الله عليه وسلم واشرافه الدقيق ، يزكيهم ويؤدبهم ويأخذهم بالزهد والأمانة والايثار على النفس وخشية الله العلي القدير وعدم الاستشراف للامارة والحرص عليها ، ولا يزال يقرع سمعهم « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » . واذا تولوا شيئا من أمور الناس لم يعدوه مغنما أو ثمنا لما انفقوا من مال أو جهد ، بل عدوه أمانة في عنقهم وامتحانا من الله ، ويعلمون أنهم موقوفون عند ربهم ومسئولون عن الدقيق والجليل ، وتذكروا دائما قول الله تعالى : « أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

ثالثا : أنهم كانوا أصحاب رسالة انسانية ، تستهدف تحرير الانسان من كل ما يعوق تقدمه ، وليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعا الى عبادة الله وحده ، كما قال ربعي ابن عامر رسول المسلمين في مجلس يزدجر : « الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل السلام »(1) فالامم عندهم سواء ، والناس عندهم سواسية ، الناس كلهم

(1) ابن كثير : البداية والنهاية .

من آدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى . « ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وقد قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص عامل مصر — وقد ضرب ابنــه مصريا ، وافتخر بآبائه قائلا خذها من ابن الأكرمين ، فاقتص منه عمر — : « متى استعبدتم النــاس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» (١) . فلم يبخل هؤلاء بما عندهم من دين وعلم على احد ، ولم يراعوا فى الحكم والامارة والفضــل نســبا ولونا ووطنا ، بل كانوا ســحابة انتظمت البــلاد وعمت العباد ، وغوادى مزنة أثنى عليهــا الســهل والوعر ، وانتفعت بها البــلاد والعبــاد على قدر قبــولها وصلاحها .

رابعا : ان الانسان جسد وروح ، وهو ذو قلب وعقل ، لا يسعد ولا يرقى رقيا متزنا عادلا حتى تنمو فيه هذه القوى كلها نموا متناسبا لائقا بها ، ويتغذى غذاء صالحا ، ولايمكن أن توجد المدنية الصــالحة البتة الا اذا ســاد وسط دينى خلقى عقلى جسدى يمكن فيه للانسان بسهولة أن يبلــغ كماله الانسانى ، وقد أثبتت التجربة أنه لا يــكون ذلك الا اذا كانت قيادة الحياة وادارة دفة المدنية بيد الذين يؤمنون بالروح والمادة ، ويكونون أمثلة كاملة فى الحيــاة الدينية والخلقية وأصحاب عقول سليمة وعلوم نافعة .

(١) القصة بتمامها فى تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى .

وقد وصف عالم ألماني مسلم ميزة المسلمين وصفا دقيقا . قال :

« ان الاسلام لا ينظر الى العالم بمنظار أسود ، بل هو يعلمنا أن لا نسرف فى تقدير الحياة الارضية ، وأن لانغالى فى قيمتها مغالاة الحضارة الغربية الحاضرة .

ان المسيحية تذم الحياة الارضية وتكرهها ، والغرب الحاضر ـ خلاف الروح النصرانى ـ يهتم بالحياة كما يهتم النهم بطعامه ، هو يبتلعه ولكن ليس عنده كرامة له ،والاسلام بالعكس ينظر الى الحياة بسكينة واحترام ، هو لا يعبد الحياة بل يعدها كمرحلة نجتازها فى طريقنا الى حياة عليا ، وبما أنها مرحلة ومرحلة لابد منها ليس للانسان أن يحتقرها أو يقلل من قيمة حياته الارضية ، ان مرورنا بهذا العالم فى سفر الحياة لا بد منه ، وقد سبق به تقدير الله ، فالحياة الانسانية لها قيمتها الكبرى ، ولكن لا ينبغى لنا أن ننسى أنها ليست الا واسطة وآلة وليست قيمتها الا قيمة الوسائط والآلات ، الاسلام لا يسمح بالنظرية المادية القائلة : « ان مملكتى ليست الا هذا العالم » ولا بالنظرية المسيحية التى تزدرى الحياة وتقول : « ليس هذا العالم مملكتى » وطريق الاسلام طريق وسط بينهما ، القرآن يرشدنا أن ندعو « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » . فالتقدير لهذا العالم وأشيائه ليس حجر عثرة فى سبيل جهودنا الروحية الخصبة ، والرقى المادى مرغوب فيه مع أنه ليس غاية فى نفسه . ان غاية جهودنا ينبغى أن تكون

ايجاد أحوال وظروف شخصية واجتماعية ، والمحافظة عليها ان وجدت تساعد فى ارتقاء القوة الخلقيـة فى الانسـان مطابقة لهذا المبدأ . الاسلام يهدى الانسان الى الشـعور بالمسئولية الخلقية فى كل عمل يعمله كبيرا كان او صغيرا.

ان الاسلام لا يسمح بتقسيم حاجات حياتنا الى خلقيـة وعملية ، ليس هنـالك الا خيرة فقط ، خيرة بين الحق والباطل ، وليس هناك شيء وسط بينهما ، لذلك هو يلح على العمل لانه جزء لازم للاخلاق لا غنى عنه . ينبغى لكل فرد مسلم أن يعد نفسه مسئولا شخصيا عن المحيط الذى يحيط به وكل ما يقع حوله ومأمورا بالجهاد لاقامـة الحق ومحق الباطل فى كل وقت وفى كل جهـة . يقـول الله تعـالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهـون عن المنكر وتؤمنون بالله » . هذا هو المبرر الخلقى للحـركة الاسلامية الجهادية والفتوح الاسـلامية الاولى . ان هـذه الفتوح الاسلامية ليست مدفوعة بحب السيطرة والاستيلاء ولم يكن يحفز المجاهدين الاولين الى الجهاد طمع فى خفض من العيش ورخائه على حساب الناس الآخرين ، لم يقصدمنه الا بناء اطار عالمى لاحسن ما يمكن للانسان من ارتقاء روحى، كما أن العلم بالفضيلة حسب تعاليم الانسان يفرض علـى الانسان تبعة العمل بالفضائل ، الاسـلام لا يوافق ابدا على الفصـل الافلاطونى والتفريق النظرى البحت بين الفضـيلة والرذيلة ، بل يرى أنه من الوقاحة والرذيلة أن يميز الانسان نظريا بين الحق والباطل ، ولا يجاهد لارتقـاء الحق وازهاق

الباطل ، فان الفضيلة كما يقول الاسلام تحيا اذا جاهد الانسان لبسط سلطانها على الارض وتموت اذا خذلها وتقاعس عن نصرتها » (١) .

لقد حقق المسلمون انجازات رائعة فى مختلف مجالات الرقى الانسانى واقاموا حضارة وارفة الظلال ، بيد انهم ما لبثوا ان تفرقوا شيعا وأحزابا ، وتركوا المبادىء السامية التى جاء بها دينهم الحق فوقعوا فى براثن الاستعمار .

يقول الكاتب الامريكى « لوثروب ستودارد » فى كتابه « حاضر العالم الاسلامى » (٢) :

« ان مبادىء الحرية التى سادت فى الغرب ونودى بها غالب القرن التاسع عشر قد هبت عليها ريح هوجاء من المطامع السياسية والاقتصادية فمزقتها شر ممزق ، وبددت صورها كل مبدد ، اذ أخذ التزاحم يشتد والتنازع يوغر قلوب الدول الغربية ، حتى طفح الكيل فاشتعلت الحرب الكونية العظمى ، واشتد نهم أوربا وجشعها للتوسع فى الفتح والاستعمار ومناطق السيطرة ونيل الامتيازات واحتياز الاسواق الاقتصادية اشتدادا وحشيا غير مسبوق المثيل »

وقد بهرت الحضارة الغربية بعض الناس ، ولكن هذا البريق لا يجوز أن يعشى أبصارنا عن حقيقة الشقاء الذى باتت تعانيه البشرية فى ظل هذه الحضارة المادية .

---

(1) Islam At The cross Roods by Mohammed Asad. Fifth Edition, P. 29

(٢) عربه عجاج نويهض ، وعلق عليه الامير شكيب ارسلان .

يقول « الكسيس كاريل » فى كتابه : « الانسان . ذلك المجهول » (١) .

« أن الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب ، لأنها لا تلائمنا ، فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية ، اذ انها تولدت فى حالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس ، وأوهامهم ، ونظرياتهم ورغباتهم ، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا ، الا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا » (٢)

« لقد أهمل تأثير المصنع على الحالة الفسيولوجية والعقلية للعمال ، اهمالا تاما عند تنظيم الحياة الصناعية ، اذ أن الصناعة العصرية تنهض على مبدأ « الحد الاقصى من الانتاج بأقل التكاليف » حتى يستطيع فرد أو مجموعة من الافراد أن يحصلوا على أكبر مبلغ مستطاع من المال . وقد اتسع نطاقها دون أى تفكير فى طبيعة البشر الذين يديرون الآلات ، ودون أى اعتبار للتأثيرات التى تحدثها طريقة الحياة الصناعية التى يفرضها المصنع على الافراد ، وإحفادهم (٣)

« يجب أن يكون الانسان مقياسا لكل شيء ، ولكن الواقع هو عكس ذلك . فهو غريب فى العالم الذي ابتدعه ،

---

(١) ترجمه شفيق أسعد فريد . نشر مكتبة المعارف فى بيروت ص ١١ ، ١٢ ، ٣٨ .

(٢) ص ٤٠ .

(٣) ص ٤٤ .

انه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه ، لانه لا يملك معرفة عملية بطبيعته .. ومن ثم فان التقدم الهائل الذى أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو احدى الكوارث التى عانت منها الانسانية .. فالبيئة التى ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة لا بالنسبة لقوامنا ولا بالنسبة لهيئتنا .. اننا قوم تعساء ، ننحط أخلاقيا وعقليا .. ان الجماعات والامم التى بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هى على وجه الدقة ، الجماعات والامم الآخذة فى الضعف ، والتى ستكون عودتها الى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها اليها . ولكنها لاتدرك ذلك ، اذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التى شيدها العلم حولها .. وحقيقة الامر أن مدنيتنا مثل المدنيات التي سبقتها ، أوجدت أحوالا معينة للحياة من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة . وذلك لاسباب لا تزال غامضة .. ان القلق والهموم التى يعانى منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية » (١) .

لقد أصبح الفرد ضيقا ، متخصصا ، فاجرا ، غبيا ، غير قادر على التحكم فى نفسه ومؤسساته » .

« ولسوف يكون من الصعب أن نتخلص من مذهب ظل يسيطر خلال أكثر من ثلاثمائة عام على عقول القوم المتحضرين .

---

(١) ص ٦٠ .

فاذا كان على الحضارة العلمية أن تتخلى عن الطريق الذى سارت فيه منذ عصر النهضة ، وتعود الى ملاحظة المادة الجامدة ببساطة ، فسوف تقع أحداث عجيبة على الفور ..

ستفقد المادة سيادتها ، ويصبح النشاط العقلى كالنشاط الفسيولوجى .. وسيبدو أن لا مفر من دراسة الوظائف الادبية والجمالية والدينية ، كدراسة الرياضيات والطبيعة والكيمياء .

ولما كان من الواضح أن تحرير الانسان من مذهب « المادية » سوف يقلب أغلب جوانب حياتنا ، فان المجتمع العضرى سوف يعارض بكل قوته هذا التقدم فى آرائنا (١)

مهما يكن ، يجب أن نتخذ دواعى الحيطة حتى لا يحدث فشل المادة رد فعل روحيا . اذ لما كانت « التكنولوجيا » وعبادة المادة لم يصيبا نجاحا ، فقد يستشعر الناس اغراء عظيما لاختيار الطقوس المضادة .. طقوس العقل .. ولن تكون رئاسة السيكولوجيا أقل خطرا من رئاسة الفسيولوجيا والطبيعة والكيمياء ! ! فقد أحدث « فرويد » أضرارا أكثر من التى أحدثها أكثر علماء الميكانيكا تطرفا ! ! فان من الكوارث أن نختزل الانسان الى جانبه العقلى ، مثل اختزاله الى آلياته الطبيعية ـ الـكيماوية .. ولا مفر من دراسة الصفات الطبيعية لمصل الدم وتوازنه الايونى ، وقابليته .

---

(١) المصدر نفسه : ص ٣٢٩ ـ ٣٣١ .

اختراق البروتوبلازم .. الخ . كما ندرس الاحلام والشهوة والتأثيرات السيكولوجية للصلاة وذاكرة الكلمات .. الخ. بيد أن استبدال الروحى بالمادى لن يصحح الخطأ الذى ارتكبته النهضة .. فاستبعاد المادة سوف يكون أكثر اضرارا بالانسان من استبعاد العقل .

وانما سيوجد الخلاص فقط فى التنحى عن جميع المذاهب (١) .

ان من المحتم علينا أن نفكر بكل فكرنا الواعى ، وبكل أعماقنا فى التجارب والنذر ..

ان الاسلام ـ هو وحده ـ القادر على انقاذ الانسانية مما يحدق بها من أخطار هائلة ، وهو وحده القادر على منحها المنهج الملائم لفطرتها ولاحتياجاتها الحقيقية . وهو وحده الذى ينسق بين خطاها فى الابداع المادى وخطاها فى الاستشراف الروحى ، لتعيش حياتها آمنة على يومها ، مطمئنة على غدها فى ظل الحرية والمساواة والاخاء والعدل الاجتماعى وكل ما يكفل للانسان التقدم والرقى .

---

(١) المصدر نفسه : ص ٣٣١ ـ ٣٣٢

التجديد الإسلامي

في القرن الثامن عشر (١) كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلـــغ ، ومن التدنى والانحطاط أعمق دركه ، فأربد جـــوه وطبقت الظلمة على كل صقع من أصقاعه ، وانتشر فيه فساد الاخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهـذيب العربى ، واستغرقت الامم الاسلامية فى اتباع الاهـــواء ، وماتت الفضيلة فى الناس ، وساد الجهل وانطفأت قبســات العلم الضئيلة ، وكاد العزم يتلاشى فى نفوس المسلمين ، وبارت التجارة بوارا شديدا ، واهملت الزراعة .

وأما الدين فقدغشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التى علمها صاحب الرسالة الناس سجعا من الخــرافات ، وغابت عن الناس فضائل القرآن .

---

(١) حاضر العالم الاسلامى تأليف لوثر وب ستودارد ، ترجمة عجاج نويهض جـ ١ ، ص ٣٣ .

وكان « من اكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم (٢) » ، فكما أن آفة الاسلام هى الفئة التى تريد أن تلغى كل شىء قديم ، بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع ، كذلك آفة الاسلام هى الفئة الجامدة التى لا تريد أن تغير شيئا ، ولا ترضى بادخال أقل تعديل على أصـــول التعليم الاسلامي ظنا منهم بأن الاقتداء بالـــكفار كفر ، وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار ، فقد أضاع الاسلام جاحد وجامد ..

« أما الجاحد فهو الذى يأبى الا أن يفرنج المسلمين وسائر الشرقيين ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ومشـــخصاتهم ، ويحملهم على انكار ماضيهم ، ويجعلهم أشبه بالجزءالكيماوى الذى يدخل فى تركيب جسم آخر كان بعيدا فيذوب فيه ويفقد هويته . وهذا الميل فى النفس الى انكار الانســان لماضيه واعترافه بأن آباءه كانوا سافلين ، وانه هو يريد أن يبرأ منهم لا يصـــدر الا عن الفسل الخسيس ، الوضـيع النفس ، أو عن الذى يشعر أنه فى وسط قومه دنىءالاصل فيسعى هو فى انكار أصل أمته بأسرها لانه يعلم نفسه منها بمكان خسيس ليس له نصيب من تلك الاصالة ، وهومخالف لسنن الكون الطبيعية التى جعلت فى كل أمة ميـــلا طبيعيا للاحتفاظ بمقوماتها ومشخصاتها من لغة وعقيـــدة وعادة وطعام وشراب وسكنى وغير ذلك الا ما ثبت ضرره .

---

(١) شكيب أرسلان : لماذا تأخـــر المسلمون ؟ ولمـــاذا تقدم غيرهم ص ٧٧ ، ٩٦ ، ٩٧ .

« والجامد هو الذى مهد لاعداء المدنية الاسلامية الطريق لمحاربة هذه المدنية محتجين بان التاخر الذى عليه العالم الاسلامى انما هو ثمرة تعاليمه . والجامد هو سبب الفقر الذى ابتلى به المسلمون لانه جعل الاسلام دين آخرة فقط . والحال أن الاسلام هو دين دنيا وآخرة ، وأن هذه مزية له على سائر الاديان ، فلا خصر كسب الانسان فيما يعود للحياة التى وراء هذه كما هى ديانات أهل الهند والصين ، ولا زهده فى مال الدنيا وملكها ومجدها كتعاليم الانجيل ، ولا حصر سعيه فى أمور هذه المعيشة الدنيوية كما هى مدنية أوربا الحاضرة .

« والجامد هو الذى شهر الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية وفنونها وصناعاتها بحجة أنها من علوم الكفار . فحرم الاسلام ثمرات هذه العلوم ، وأورث أبناءه الفقر الذى هم فيه وقص أجنحتهم ، فان العلوم الطبيعية هى العلوم الباحثة فى الارض ، والارض لا تخرج أفلاذها الا لمن يبحث فيها . فان كنا طول العمر لا نتكلم الا فيما هو عائد للآخرة ، قالت لنا الارض : اذهبوا توا الى الآخرة فليس لكم نصيب منى ، ثم اننا بحصر كل مجهوداتنا فى هذه العلوم الدينية والمحاضرات الاخروية جعلنا أنفسنا بمركز ضعيف بازاء سائر الامم التى توجهت الى الارض ، وهؤلاء لم يزالوا يعملون فى الارض ونحن ننحط فى الارض ، الى أن صار الامر كله فى يدهم ، وصاروا يقدرون ان يأفكونا عن نفس ديننا فضلا عن أن يملكوا علينا دنيانا ومن ليست

له دنيا فليس له دين هذا هو الذى يريده الله بنا وهو الذى قال : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض » وقال : « هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا » . وقال : « قل : من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل : هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » . وقال فيما حكاه وأقره « ولا تنس نصيبك من الدنيا » . وعلمنا أن ندعوه بقوله : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » .

« والمسلم الجامد لا يدرى أنه بهذا المشرب يسعى فى بوار ملته وحطها عن درجة الامم الاخرى ، ولا يتنبه لشىء من المصائب التى جرها على قومه اهمالهم للعلوم الكونية حتى أصبحوا بهذا الفقر الذى هم فيه ، وصاروا عيالا على أعدائهم الذين لا يرقبون فيهم الا ولا ذمة ، فهو اذا نظر الى هذه الحالة عللها بالقضاء والقدر بادىء الرأى ، وهذا شأن جميع الكسالى فى الدنيا يميلون على الاقدار .

« والمسلم الجامد هو الذى طرق لأعداء الاسلام على الاسلام وأوجد لهم السبيل الى القالة بحقه ، حتى قالوا : انه دين لا يأتلف مع الرقى العصرى ، وانه دين حائل دون المدنية ، والحقيقة أن هؤلاء الجامدين هم الذين لا تأتلف عقائدهم مع المدنية ، وهم الذين يحولون دون الرقى العصرى والاسلام براء من جماداتهم هذه .

« ان الاسلام هو من أصله ثورة على القديم الفاسد ، وجب للماضى القبيح ، وقطع كل العلائق مع غير الحقائق ،

فكيف يكون الاسلام ملة الجمود ؟ والقــرآن هو الذى جاء فيه قصة ابراهيم عليه السلام :

(اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيـــل التى انتم لها عاكفون . قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين . قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) .

وجاء فيه : (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) .

وغير ذلك من الآيات الداعية الى الثورة على القــديم اذا لم يكن صحيحا ولم يكن صالحا » :

« ان الاسلام (١) لم يقف يوما ما سدا فى وجه التقــدم والعلم ، انه يقدر الجهود الفكرية فى الانسان الى درجــة يرفعه فيها فوق الملائكة . وما من دين ذهب أبعد من الاسلام فى تأكيد غلبة العقل ، وبالتالى غلبة العلم على جميع مظاهر الحياة . واذا نحن عملنا بأركان هذا الدين فاننا لا نستطيع أن نهجر التعليم الحديث فى حياتنا . أننا نرغب فى أن نتعلم وأن نتقدم وأن نصبح من الناحية العلمية والاقتصادية أكفاء كالشعوب الغربية . ولكن الشىء الوحيــد الذى لا يستطيع المسلمون أن يتمنوه هو أن ينظروا بعيون غربية ويروا الآراء الغربية : انهم لا يستطيعون أن يتمنوا ــ اذا ارادوا أن يظلوا

---

(١) محمد أسعد : الاسلام على مفترق الفرق ، ترجمة الدكتور عمر فروخ ص ٦٩ ، ٨٢ ، ٨٣ .

مسلمين ـ أن يتبدلوا بحضارة الاسلام الروحية تجارب مادية من أوربا .

« فالمدنية الغربية لا يمكن أن تكون الوسيلة الصحيحة لايقاظ العالم الاسلامى من سباته العقلى والاجتماعى ، ذلك السبات الذى ادى الى انحلال مظاهر الدين حتى أصبحت عادة مجردة لا حياة لها ولا باعث أخلاقيا فيها . فأين يجب على المسلمين اذن أن يبحثوا عن الباعث الروحى والعقلى الذى هم اليوم فى أشد الحاجة اليه .

« ان الجواب على ذلك سهل سهولة السؤال عنه ، بل انه متضمن فى السؤال نفسه .

« ان الاسلام ليس « اعتقادا » بالجنان فقط ولكنه فوق ذلك منهاج ظاهر الحدود تمام الظهور للحياة الفردية والاجتماعية . ويمكن أن يهدم الاسلام باتخاذ المسلمين ثقافة أجنبية تختلف عنه اختلافا جوهريا فى أسسها الاخلاقية ، وكذلك يمكن أن ينتعش حالما يرجع به الى حقيقته الخاصة به ، وتنسب اليه قيمة هى العنصر الذى يقرر ثم يؤلف كياننا الفردى والاجتماعى فى جميع نواحيه .

***

وفى هذا العالم المملوء بالآراء الجديدة المتصادمة والتيارات الثقافية المتعارضة لا يستطيع الاسلام أن يظل شكلا اجوف . لقد انقضى نومه السحرى الذى دام أجيالا فيجب أن ينهض أو أن يموت .

« ان المشكلة التى تواجه المسلمين اليوم هى مشكلة مسافر

وصل الى مفترق طرق : انه يستطيع أن يظل واقفا مكانه ، ولكن هذا يعني أنه سيموت جوعا ، وهو يستطيع أن يختار الطريق التي تحمل فوقها هذا العنوان : « نحو المدنية الغربية » ، ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه الى الابد ، أو أنه يستطيع أن يختار الطريق التي كتب عليها « الى حقيقة الاسلام » . ان هذه الطريق وحدها هي التي تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حي » .

***

لقد اختار المسلمون الطريق التي كتب عليها « الى حقيقة الإسلام » . وظهر في العالم الاسلامي خلال تاريخه الممتد عدد كبير من المجددين الذين جددوا معالم الدين ، ومن الاعلام البارزة في هذا الميدان الغزالي وابن تيمية وابن القيم الجوزية وغيرهم من عباقرة الاسلام ، ونحن لن ندرس هنا تاريخ التجديد الاسلامي فليس هذا هدفنا ، ولكننا سندرس التجديد من حيث هو اتجاه فكري خاص ظهر في العالم الاسلامي حينما جاءت المدنية الغربية واضطرته الى الفصل في الصراع الذي نشأ اذ ذاك بين الثقافة الغربية والتراث الاسلامي .

عرف دعاة التجديد في العالم الاسلامي أن الذي افسد نظرة المسلم الجامد والجاحد هو التقليد ، تقليد الآباء والاجداد أو تقليد الامم الغربية . فصمموا على محاربة التقليد ، ونادوا بالاجتهاد ، ليكون أساس بناء مذهبهم الجديد .

وقد انبرى دعاة التجديد لفكرة التقليد ، واظهروا للناس أن التقليد مخالف لروح الدين ، وأن الدين ينكر التقليد ، ويدعو للاجتهاد .

يقول الشيخ محمود شلتوت (١) :

« كثرت آيات القرآن الواردة فى ذم التقليد وجرى الخلف وراء السلف ، دون نظر واستدلال ، هؤلاء الذين ورثوا عقائدهم وآراءهم عن آبائهم واجدادهم لا لشيء سوى انهم آباؤهم وأجدادهم . وكأنهم يرون أن السبق الزمنى ، يخلع على خطة السابقين وآرائهم فى المعتقدات ، وأفهامهم في النصوص ، قداسة الحق وسلطان البرهان ، فالتزموها وتقيدوا بها ، وسلبوا أنفسهم خاصة الانسان ، خاصة البحث والنظر . وفى هذا الشأن يقول الله تعالى : « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله ، قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا »(٢) « واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا » (٣) .

حكى عنهم الجمود على ما كان عليه سلفهم ، فهم يرثون أفكارهم وآراءهم ، كما يرثون عقارهم وأرضهم ، وحكى عنهم اكتفاءهم بمعتقداتهم الموروثة ، ووقوفهم بأنفسهم عندها دون أن يتجهوا الى الترقى والتدرج فى العلم . ولا شك أن كلا

(١) كتاب « توجيهات الاسلام » ص ١٢٤ـ١٢٥ .
(٢) سورة البقرة : ١٧٠ .
(٣) سورة المائدة : ١٠٤ .

الموقفين : الجمود عند الموروث والاكتفاء به مصادم لما تقضي به طبيعة السكون وطبيعة كل حي ، من النمو والتوليد . والتناسل الفكري ، كالتناسل النباتي والحيواني والانساني ، كلاهما شأن لابد منه في الحياة . ولو وقف التناسل الفكري لارتطم الانسان في حياته بكثرة ما تلد الطبيعيات التي هو منها ، وعندئذ يعجز عن تدبير الحياة النامية التي لم يقدر لها النماء الا خدمة له ، وسبيلا لخيره ونفعه ، فيتحقق فشله في القيام بمهمة الخلافة في الارض التي اختير لها ووكلت اليه منذ القدم .

واذا كان الجمود على آراء المتقدمين لمجرد انهم متقدمون مصادما لقانون النمو والتناسل الطبيعي ، فهو في الوقت نفسه ، سلب لمزية الانسان في التمييز بين الحق والباطل ، والملائم وغير الملائم ، فيفعل ما يفعل دون عقيدة ، ويترك ما يترك دون عقيدة ، ومثل هذا لا يجد لنفسه خطا في أن يفعل أو في أن يترك وانما يقاد بالزمام . وزمامه صور الآباء والاجداد ، فهي دائما تجذبه القهقرى ولا يجد في نفسه عونا على التقدم ، فيقع في ضيق من الحياة المتجددة حوله » .

***

ونعرض هنا في شيء من الايجاز لأفكار المفكر الاسلامي الكبير جمال الدين الافغاني ولامام المجددين الحديثين الاستاذ الشيخ محمد عبده .

ان منهج جمال الدين الافغاني الذي اقترحه ليجعل من

المسلمين قوة متماسكة سائرة فى الحيـاة ، حريصة على ان تكون سيدة نفسها ، يتلخص فى هذه الجملة :

« أرجو أن يكون سلطان جميعهم ـ جميع المسلمين ـ القرآن ـ ووجهة وحدتهم الدين » .

يقول شارحا ذلك (١) : « أما المسلمون فبعد أن نالوا فى نشأة دينهم مانالوا ، وأخذوا من كل كمال حـربى حظا ، وضربوا فى كل فخار عسكرى بسهم ، بل تقدموا سـائر الملل فى فنون المقارعة وعلوم النزال والمكافحة ، ظهر فيهم :

أ) اقوام بلباس الدين وأبدعوا فيه ، وخلطوا بأصوله ما ليس منها ، فانتشرت قواعـد الجبر وضربت فى الاذهان حتى اخترقتها ، وامتزجت بالنفـوس حتى أمسكت بعنانها عن الاعمال .

ب) هذا الى ما أدخله الزنادقة فيما بين القرنين الثـالث والرابع .

جـ) وما أحدثه السوفسطائيـون الذين أنكروا مظـاهر الوجود ، وعدوها خيالات تبـدو للنظر ولا تثبتها الحقائق .

د) وما وضعه كذبة النقل من الأحاديث ، ينسبونها الى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ، ويثبتونها فى الكتب وفيها السم القاتل لروح الغيرة وان ما الصق

---

(١) ـ مجموعة العروة الوثقى ص ٧٠ ـ ٧١ هـ

منها بالعقول يوجب ضعفا فى الهمم ، وفتــورا فى العزائم .

وتحقيق أهل الحق ، وقيامهم ببيان الصحيح والباطل من كل ذلك لم يرفع تأثيره عن العامة ، خصوصا بعد حصول النقص فى التعليم ، والتقصير فى ارشاد الكافة الى أصول دينهم الحقة ، ومبانيه الثابتة التى دعا اليها النبى وأصحابه فلم تكن دراسة الدين على طريقها القــويم الا منحصرة فى دائرة مخصوصة وبين فئة ضعيفة .

لعل هذا ــ يقول الافغانى ــ هو العلة فى وقوفهم ، بل الموجب لتقهقرهم ، وهو الذى نعانى من عنائه اليوم مانسأل الله السلامة منه .. وما دام القرآن يتــلى بين المســلمين وهو كتابهم المنزل ، وامامهم الحق ، وهو القائم عليهم ، يأمرهم بحماية حوزتهم والدفاع عن ولايتهم ، ومغالبــة المعتــدين ، وطلب المنفعة من كل سبيل ، لا يقنن لها وجها ولا يخصص لها طريقا ــ فاننا لا نرتاب فى عودتهم الى مثــل نشأتهم ، ونهوضهم الى مقاضاة الزمان ما سلب منهم ، فيتقدمون على من سواهم فى فنون الملاحة والمنازلة والمصــاولة ، حفظا لحقوقهم ، وضنا بأنفسهم من الذل ، وملتهم عن الضياع ، والى الله تصير الأمور » .

ويقول (١) :

هل تعجب أيها القارىء من قولى : ان الاصول الدينية

(١) المصدر السابق ص ٥٨ـ٥٩ .

الحقة المبرأة عن محدثات البدع تنشىء للامم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة ، وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع المعارف ، وتنتهى بها الى اقصى غاية فى المدنية .

ان القرآن حي لا يموت ، ومن أصابه نصيب من حمده فهو محمود ، ومن أصيب من مقته فهو ممقوت . كتاب الله لم ينسخ ، فارجعوا اليه ، وحكموه فى أحوالكم وطباعكم ، وما الله بغافل عما تعملون . (١) .

وفى الظن أن العلماء لو قاموا بهذه الفريضة ـ فريضة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ زمنا قليلا ووعظوا الكافة بتبيين معانى القرآن الشريف واحيائها فى نفوس المؤمنين ، رأينا لذلك أثرا فى هذه الملة يبقى ذكره أبد الدهر، وشهدنا لها يوما يسترجع فيه مجدها فى هذه الدنيا ، وهو مجد الله الاكبر (٢) .

ان حركتنا الدينية « بالدعوة الى القرآن الكريم » كناية عن الاهتمام بقلع ما رسخ فى عقول العوام ومعظم الخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها مثل : حملهم نصوص « القضاء » « والقدر » على معنى يوجب عليهم أن لا يتحركوا الى طلب مجد أو تخلص من ذل .

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤ .

ومثل فهمهم لبعض الاحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان او قرب انتهائه ، فهما يثبط هممهم عن السعى وراء الاصلاح والنجاح ، مما لا عهد للسلف الصالح به .

فلا بد اذن من بعث القرآن ، وبعث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور ، وشرحها على وجهها الثابت ، من حيث يأخذ بهم الى ما فيه سعادتهم دنيا وأخرى .

ولا بد من تهذيب علومنا ، وتنقيح مكتبتنا ، ووضع مصنفات فيها قريبة سهلة الفهم ، فنستعين بتلك الكتب والعلوم التى تضمنها على الوصول الى الرقى والنجاح »(١)

بهذا شرح جمال الدين الافغانى رأيه فى الرجوع الى القرآن المجيد والى تعاليمه الصافية ، بعد أن آلت شروحه السابقة ، وتخريجه المتنوع الى مذاهب ، وآل أمر هذه المذاهب الى تفريق الامة الى طوائف ، وآل أمر الطوائف الى العصبية والتنابذ فى الخصومة ، وصار ذلك كله الى الضعف والوهن ، ثم الى الانهيار .

***

وقام محمد عبده بحركة اصلاحية فى تعديل المفاهيم الاسلامية ، قصد منها بيان القيمة الايجابية فى توجيه الاسلام .

ويصور محمد عبده أهداف تفكيره ، بقلمه الخاص ، فيما يلى :

---

(١) عبد القادر المغربي : جمال الدين الافغانى ص ٩٩-١٠٠ .

« .. وارتفع صوتى بالدعوة الى أمرين عظيمين :

الاول : تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفها الى ينابيعها الاولى ، واعتباره — الدين — من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خلطه وخبطه .

وقد خالفت فى الدعوة اليه رأى الفئتين العظيمتين ، اللتين يتركب منهما جسم الامة : طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم ، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو فى ناحيتهم . أما الامر الثانى : فهو اصلاح اللغة العربية .

وهناك أمر آخر كنت من دعاته ، والناس جميعا فى عمى عنه ، وبعد عن تعقله ، ولكنه هو الركن الذى تقوم عليه حياتهم الاجتماعية ، وما أصابهم الوهن والضعف والذل الا بخلو مجتمعهم منه . وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة . نعم كنت فيمن دعا الامة المصرية الى معرفة حقها على حاكمها .. دعوناها الى الاعتقاد بأن الحاكم وان وجبت طاعته ، هو من البشر الذين يخطئون ، وتغلبهم شهواتهم ، وانه لا يرده عن خطئه ، ولا يوقف طغيان شهوته الا نصح الامة له بالقول والفعل .

جهرنا بهذا القول والاستبداد فى عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ويد الظلم من حديد ، والناس كلهم عبيد له أى عبيد .. »

نعم انني في كل ذلك لم أكن الامام المتبع ، ولا الرئيس المطاع . غير اني كنت روح الدعوة » (١) .

بدأ محمد عبده فحمل حملة شديدة على التقليد ودعاته وأوضح للناس أن الله قد نعى التقليد على الكفار والمشركين، ولم يرتضه لعباده المؤمنين .

يقول في تصوير عقلية المقلد ومنطقه الفاسد :

« ان قلوب الجمهور من الخاصة قد التاثت بمرض التقليد فهم يعتقدون الامر ثم يطلبون الدليل عليه ، ولا يريدونه الا موافقا لما يعتقدون ، فان جاءهم بما يخالف ما اعتقدوه نبذوه ولجوا في مقاومته ، وان ادى ذلك الى جحد العقل برمته ، فأكثرهم يعتقد فيستدل وقلما نجد من يستدل فيعتقد » (٢) .

وفي تفسير الآية ١٧١ من سورة البقرة وهي : « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون » . يقول :

« ان الآية صريحة في أن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين ، وأن المرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به . فمن ربي على التسليم بغير عقل ، والعمل ولو صالحا بغير فقه ، فهو غير مؤمن . لانه

(١) تاريخ الامام محمد عبده : جـ١ ص ١١-١٢ .
(٢) رسالة التوحيد : ص ٧٢ .

ليس القصد من الايمان أن يذلل الانسان للخير كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه ان يرتقى عقله ونفسه بالعلم والعرفان فيعمل الخير لانه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله ، ويترك الشر لانه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل فى اعتقاده ، فلا يأخذ بالتسليم لأجل آبائه وأجداده » (١) .

ويقول للذين يبررون التقليد بما يتضمنه من احترام الآباء والاجداد :

« ان الاسلام صرف القلوب عن التعلق بما عليه الآباء وما توارثه عنهم الابناء ، وسجل الحمق والسفاهة على الآخذين بأقوال السابقين . ونبه على أن السبق فى الزمان ليس من آيات العرفان ، ولا مسميا لعقول على عقول ، ولا لاذهان على أذهان ، وانما السابق واللاحق فى التمييز والفطرة سيان . بل للاحق من علم الاحوال الماضية واستعداده للنظر فيها والانتفاع بما وصل اليه من آثارها فى الكون ما لم يكن لمن تقدمه من أسلافه وآبائه » (٢) .

كان من الطبيعى وقد رفض محمد عبده التقليد ، أن تقترن هذه الحركة بالدعوة الى استعمال العقل فى الاستدلال على العقائد الدينية واستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والقياس والاجماع . بيد أن هذه الدعوة لن يكتب لها النجاح الا اذا قام الدليل القاطع على أن الاسلام قد

(١) تفسير المنار جـ٢ ص ٩٢ ـ ٩٤ .

(٢) رسالة التوحيد ص ١٧٦ـ١٧٧ .

اعترف بالعقل كوسيلة للمعرفة وأداة للوصول الى الحقيقة.
ومن ثم أتجه محمد عبده الى اثبات هذه الحقيقة .

يقول في رسالة التوحيد (١) : « فالاسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالايمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلى والفكر الانسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى ، فلا يدهشك بخارق العادة ، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة الهية » .

ويقول الاستاذ الامام قولا يؤكد دور القرآن فى عملية تحرير العقل من فكرة الخوارق والمعجزات : « دخل الانسان بدين الاسلام فى سن الرشد ، فلم تعد مدهشات الخوارق هى الجاذبة له الى الايمان ، وتقويم ما يعرض للفطرة من الميل عن الاعتدال فى الفكر والاخلاق والاعمال ، كما كان فى سن الطفولة ــ النوعية ــ بل أرشده الله تعالى بالوحى الاخير ــ القرآن ، الى استعمال عقله فى تحصيل الايمان بالله وبالوحى ..

فايماننا بما أيد الله تعالى به الانبياء من الآيات لجذب قلوب أقوامهم الذين لم ترتق عقولهم الى فهم البرهان ، لا ينافى كون ديننا هو دين العقل والفطرة ، وكونه حتم علينا الايمان بما يشهد له العيان ، من أن سنته فى الخلق لاتبديل لها ولا تحويل » (٢) .

---

(١) رسالة التوحيد : ص ١٤٢ .

(٢) تفسير المنار جـ ١ ص ٣١٥ .

وصدق الله العظيم حين يقول : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » .

لقد أكثر القرآن المجيد من الحديث عن العقل والتعقل، والتفكير والتدبر ، والعلم والمعرفة ، وذلك ليكون الانسان على بصيرة من أمر نفسه ، ومن الوسائل التى يعتمد عليها فى ممارسة الحياة ـ وليست الا العلم بالنواميس الطبيعية والسنن الاجتماعية تلك التى نسميها بالقوانين والنظريات العلمية (١) .

أكد الامام محمد عبده فى صراحة : أن الاسلام لم يعتمد على الخوارق والمعجزات فى اثبات صحة العقائد الاسلامية ، ولكنه اعتمد على العقل ، على الدليل العقلى والفكر الانسانى ، وكان سبيله هو انهاض العقل البشرى : « وتوجيهه الى النظر فى الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ما حواه الكون من النظام والترتيب ، وتعاقد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى أن للكون صانعا واجب الوجود عالما حكيما قادرا ، وأن ذلك الصانع واحد لوحدة النظام فى الاكوان . وأطلق للعقل البشرى أن يجرى فى سبيله الذى سنته له الفطرة بدون تقييد » (٢) .

لم يتردد محمد عبده فى القول بأن العقل يقدم على ظاهر الشرع عند التعارض : « اتفق أهل الملة الاسلامية ـ الا قليلا

---

(١) دكتور محمد أحمد خلف الله : القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة ، ص ٧٩ .

(٢) الاسلام دين العلم والمدنية ـ تحقيق طاهر الطناحى ـ ص ٩٤ .

ممن لا ينظر اليه ـ على أنه اذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل . وبقى في النقل طريقان : طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه ، وتفويض الامر الى الله في علمه ، وطريق تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل » (١) .

كان الامام محمد عبده يعلم أن للعقل البشرى حدودا يجب الا يتجاوزها ، فهناك مناطق كونية لا يستطيع العقل ان يدرك كنهها ، ويصل الى اسرارها . ومن ثم كان من المحتم أن يعترف بقصوره بالنسبة اليها ، وأن ينزل على حكم الدين في كل ما تقصر عنه جهوده ويتجاوز طوقه فهو يرى :

أولا : ان العقل وحده لا يستقل بالوصول الى ما فيه سعادة الامم بدون مرشد الهى (٢) .

ثانيا : ان الدين يجب أن يعد من « موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه وتقلل خلطه وخبطه » (٣) .

لقد خلص الامام الى وضع مبدأ جوهرى من مبادىء التجديد الدينى ، وهذا المبدأ يتلخص فى نبذ التقليد ، والاعتراف بالعقل كمصدر من مصادر المعرفة فى المبادىء الدينية وغيرها ، وتقديم العقل على النقل عند التعارض ، مع التفويض فى شأن النص ، أو تأويله بما يتفق وما وصل

---

(١) المصدر السابق : ص ٩٨ .

(٢) رسالة التوحيد : ص ١٤٢ .

(٣) تفسير المنار جـ ٨ ص ٨٩٢ .

اليه العقل من نتائج ، بيد انه يجب أن يضم الى هـذا أن الدين من موازين العقل البشري التى وضعها الله سبحانه وتعالى لترد من شططه وتقلل خلطه ، وثمة مبـدأ آخر هو الاجتهاد ، وقد استخدمه الاقدمون فى تـكوين الشريعة ، فظل ينبض بالحياة حتى ظهرت الصيحة الرجعية منـادية باغلاق باب الاجتهاد .

وقد ثار على هذه الغرية أحرار من كبار مفكرى العالم الاسلامى ، وبقى أن تستمر هذه الثورة حتى ترتفع العصائب السوداء عن أعين العالم الاسلامى ليسير فى ضوء الحيـاة مجتهدا مبتكرا مشرعا كما أمره الله العلى القدير .

يقول العلامة عز الدين بن عبد السلام من علماء القـرن السابع الهجرى :

« وقد اختلفوا متى انسد باب الاجتهاد ، على أقوال ما أنزل الله بها من سلطان . قيل بعد مائتين من الهجرة ، وقيل بعد الشافعى ، وقيل بعد الأوزاعى وسفيان ، وعنـد هؤلاء ان الأرض قد خلت من قائم بحجة الله ينظر فى الكتاب والسنة ويأخذ الأحكام ، وأن لا يفتى أحد بما فيهما الا بعد عرضه على قول مقلده ، فان وافقه حكم وأفتى ، والا رده ، وهذه أقوال فاسدة ، فانه ان وقعت حادثة غير منصـوص عليها ، أو فيها خلاف بين السلف ، فلابد فيها من الاجتهاد من كتاب أو سنة وما يقول سوى هذا الا صاحب هذيان » .

ويقول الشيخ عبد الرحمن تاج :

« ان باب الاجتهاد لم يغلق على أناس يفهمون لغةالقرآن الصحيحة ، ويستطيعون أن يحكموا على ما يجد من أمور مستحدثة في ضروب التعامل والعلاقات الدولية ، ويجب على أولى الأمر من المسلمين وعلى علماء المسلمين أن يعلنوا حكم الاسلام فيها على الاسس والاصول الاسلامية » .

نادى المجددون بفتح باب الاجتهاد من جديد ، ولكنهم جددوا معنى الاجتهاد نفسه ليكون صالحا لاداء الخدمة الاسلامية الكبرى التى يحتاج اليها الاسلام والمسلمون فى هذا العصر ، وهو : « تطور الشريعة فى الاتجاه الذى يحقق الخير والمصلحة فى الوقت الحاضر ، ويرد التهم المغرضة عن الاسلام والشريعة الاسلامية » .

اتجهت الانظار الى المصلحة كأساس للتشريع . يقول عز الدين بن عبد السلام ، فى كتابه « قواعد الاحكام فى مصالح الانام » .

« .. والتكاليف كلها راجعة الى مصالح العباد فى دنياهم وآخرتهم ، والله غنى عن عبادة الكل ، لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين ، وان مصالح الآخرة لا تتم الا بمصالح الدنيا » .

ويقول ابن القيم فى كتابه « أعلام الموقعين » :

« .. فان شريعة الله مبناها فى الحكم مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكم كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور ،

وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة ، وان ادخلت فيها بالتأويل .

فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه ، وظله فى ارضه ، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة واصدقها ، وهى نوره الذى ابصر به المبصرون ، وهداه الذى اهتدى به المهتدون ، وشفاؤه التام ، به دواء كل عليل ، وطريقه المستقيم الذى من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل ، وهى العصمة للناس ، وقوام العالم ، وبها يمسك الله السموات والارض أن تزولا» .

هدف الشارع الاكبر هو العدل ، فاذا ظهرت أمارأته ، واسفر وجهه بأى طريق كان ، فثم شرع الله ودينه ، وأى طريق وأى نهج أدى الى القسط والصراط المستقيم ، فهو دين الله وشرعته .

وقف المجددون من الدين والتراث القومى موقف الناقد النزيه ، فهم يحللون ما علق به من شوائب ، على مر الايام ، ويفصلون الجوهر الاصيل عن الدخيل الزائف ، ويجمعون العناصر الصحيحة ويتمسكون بها .

وبهذه الروح واجهوا بعض الخرافات التى التصقت بالدين ، والدين منها براء ، وبنفس هذه الروح واجهوا المدنية الغربية فالصالح منها رحبوا به ، والطالح منها رفضبوه .

وكان معيارهم فى القبول والرفض هو الدين الصحيح ،

فما طابق الدين ومصـــلحة المجتمــع قبلوه ، وما ناقضــه رفضوه .

ولو سار الامر الى نهايته الطبيعية لكان من الطبيعى أن تعقب حركة التحليل والتمحيص والاختيــار حركة التركيب التى تجمع العناصر الصحيحة فى وحدة جامعة تكون دستورا للناس فى حياتهم الفردية والاجتماعية .

ان من الواجب أن نقتفى اثر الرعيل الاول من المجددين فنتم ما بدءوا ، ليصل العالم الاســلامى الى ما يرجى له من رقى وتقدم ونهوض .

القرآن وحركة التجديد

كان القرآن هدى الامة الاسلامية الذى اهتدت به فى صدر الاسلام واستمدت منه نشاطها وحيويتها ، فكان لذلك الاثر الاكبر فى تلك الصورة الرائعة التى كانت لها .

وليس شك فى أن القرآن سيظل اقوى مؤثر فى حياة الامة الاسلامية ، لان القرآن المجيد ، قد احتوى من النظم والقواعد والمبادىء والتلقينات ، ما من شأنه أن ينهض بهاالى ذرى الكمال فى كل مجال من مجالات الحياة ، ويوجهها فى احسن السبل واشرفها وانزهها واعدلها واتمها صفاء وسناء وكمالا وحقا . ولان الدين الاسلامى ، الذى يمثله القرآن ، ليس دينا روحيا أو اخلاقيا أو عنصريا أو محليا فحسب ، كما هو حال جل الديانات الاخرى ، بل هو دين كيان وسياسة ونظام وعمل وواقع . ثم هو دين إنسانية شاملة ، وامام عام سياسى واجتماعى ، يدخل فى نطاقه الناس جميعهم على اختلاف اجناسهم والوانهم وطبقاتهم ومواطنهم . فلا جرم

ان يكون مدد الامة الاسلامية فى حياتها الجديدة ، تستمد منه نشاطها وفعاليتها وحيويتها ، وتستبين منه صراطها المستقيم الذى تسير عليه فى شؤونها السياسية والاجتماعية والاخلاقية والشخصية ، حتى تكون لها تلك الصورة التى تتوق اليها ، والمركز الذى تتطلع اليه (١) .

كان الرسول (٢) صلى الله عليه وسلم فى حياته مرجع المسلمين فى تدبير شئونهم العامة : من تشريع ، وقضاء ، وتنفيذ . وكان قانونه فى هذا التدبير ما ينزل عليه من ربه جلت قدرته ، وما يهديه اليه اجتهاده ونظره فى المصالح ، وما يبشر به أولو الرأى من صحابته فيما ليس فيه تنزيل . وكان التدبير بهذه المصادر يتسع لحاجات الامة ويكفل تحقيق مصالحها .

وقد ترك الرسول الكريم فى أمته هاديين لا يضل من اهتدى بهما فى تدبير شئونها وهما : كتاب الله ، وسنته ، وأقام منارا ثالثا يستضاء به فيما ليس فيه نص من كتاب أو سنة ــ وهو : الاجتهاد الذى مهد طريقه ، ودعا اليه بقوله ، وعمله ، واقراره . ذلك لان الرسول الكريم كثيرا ما كان يبلغ الاحكام مقرونة بعللها والمصالح التى تقتضيها ، وفى هذا ايذان بارتباط الاحكام بالمصالح ، ولفت الى أن الغاية انما هى : جلب المنافع ، ودرء المفاسد .

---

(١) محمد عزة دروزة : الدستور القرآنى ، ص ٣ ، ٤ .

(٢) عبد الوهاب خلاف : السياسة الشرعية ص ٦ــ٨ .

وقد اقر الرسول اجتهاد من اجتهد فى حضرته من صحابته . وقال للمجتهد : ان أصبت فلك أجران ، وان اخطأت فلك أجر . وكان ينهى عن الشىء لمصلحة تقضى بتحريمه ثم يبيحه اذا تبدلت الحال وصارت المصلحة فى اباحته ، كما فى حديث : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، الا فزوروها » .

هذا كله وكثير مثله بث فى نفوس المسلمين أن غاية الشرع انما هى المصلحة ، وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله . وأنار لهم أن السبيل الى تحقيق المصالح حيث لا نص انما هو اجتهاد الرأى .

وقد ظهرت هذه الروح فيما سلكه الراشدون بعد وفاة الرسول فى تدبير الشئون العامة للدولة فكانوا يهتدون فى نظمهم وسائر تصرفاتهم بما شرع الله فى كتابه ، وعلى لسان رسوله . وان حدث لهم ما ليس له حكم فى كتاب ولاسنة اجتهدوا رأيهم واتبعوا ما ادى اليه اجتهادهم مما رأوا فيه مصلحة الامة ولا يخالف روح الدين . وكثيرا ما كان اجتهاد أحدهم يخالف اجتهاد صاحبه بل قد يخالف ما يفهم من ظاهر النص . وما اتهم مجتهد منهم انه على غير الحق او تنكب طريقه ، ما دامت الغاية : المصلحة وعدل الله . والوسيلة : اجتهاد الرأى وانعام النظر .

فلما نشأ الكلام وعلم الفقه ، اتجه الناس لمعرفة الاحكام الى الفقه ومعرفة العقائد الى علم الكلام .

وقد أتجه المفسرون الى تفسير القرآن المجيد ، كنص

يراد شرحه وايضاح معانيه ، فشرحوا غامضه وحرروا معانيه واشاروا الى ما يتضمنه من اصول ومبادىء .

ولما بدأت حركة التجديد المعاصرة تبدل الحال ، وصار من المحتم اشراك القرآن فيها ، فان حركة التجديد تستهدف الاحتفاظ بالاسلام قاعدة للحياة ، ولكن على اساس من الاقتناع العميق بأنه يضم أعلى العقائد واسمى النظم .

يقول السيد رشيد رضا : « ان الشريعة الاسلامية ـ بما تقرر فيها من قاعدتى الاجتهاد ورعاية الاصلح ـ كانت من الشرائع التى توافق كل زمان ومكان ، وتجيز لكل ضرورة حكمًا يوافق مقتضى المصلحة والحال وان خالف النص ، مع اعتبار هذه القاعدة شرعا أيضا ، خلافا لما يتقوله عليها المتقولون من أنها شريعة ضيقة توافق زمانا غير زماننا هذا ، ومكانا غير مكان الامم الراقية لهذا العهد .

ومنشأ قولهم هذا الجهل بحقيقة الشريعة الاسلامية ، وعدم الوقوف على أصولها وقواعدها وكلياتها ، يساعدهم على ذلك ما يرونه من تعصب بعض علماء الشريعة لما جاء فى كتب الفروع دون الاصول ، وردهم لكل ما لم يرد فيها من أسباب التيسير ، وان ورد فى أصول الشريعة وكلياتها ، على أن فى كتب الفروع من الاحكام التى لا تستند الى دليل قطعى مالا يعد ، ومبناها الاجتهاد أو الراى والقياس ، ومع هذا فانهم يفضلون العمل بهذه الاحكام على الرجوع الى أصل الشريعة ، مهما كان فيها من التقليد والتضييق على انفسهم والامة » .

كان لابد من التحرر من سلطان القديم ، ونبذ التقليد ، والتقدم الى مهمة التجديد باداة كاملة من الاجتهاد الحر المستقل الذى لا يخضع الا لقوة الدليل ولا يغفل مصالح الانسان وحاجات العصر ومنطقه .

والاجتهاد يعنى أول ما يعنى الرجوع الى مصادر الاسلام. والقرآن المجيد هو المصدر الاكبر الذى يجب ان يكون المرجع الاول فى فهم الدين ، واعطاء العقيدة والشريعة صورتها الجديدة النقية .

عرف المجددون هذه الحقيقة الواضحة : لا غنى عن القرآن المجيد فى بناء صرح الاسلام الذى تتفتح له القلوب والعقول، ويكتب له النصر العزيز فى معركة الصراع المحتدم بين الثقافة الاسلامية والمدنية الغربية .

« والدعوة الى الاستمداد بالقرآن (١) والاهتداء بهداه والسير عليه تحتوى جميع عناصر الاستجابة ، لما احتواه من تلك النظم والقواعد والمبادىء والتلقينات ، ولا يستطيع أى فرد أن يرتاب فى قوتها وتأثيرها النافذ العميق فى نفس الامة ، اذا ما صدرت عن قوة وجد وايمان وحسن فهم .

على أنه مما يدعو الى الغبطة بدو حركة مباركة فى هذا المجال فى مختلف البلاد العربية والاسلامية ، حيث اخذت أصوات الدعاة ، منذ بدء اليقظة الجديدة ، تهتف بالمسلمين لافتة أنظارهم الى القرآن ونظمه ، والصدر الاسلامى الزاهر

---

(١) الاستاذ محمد عزة دروزة : الدستور القرآنى ص ٤ ، ٥ .

السناء الذى كان مدده ، وحيث إخـــذت هذه الاصـوات تتوالى وتشتد فيتأثر بها المسلمون شيئا فشيئا ،ويصيخون اليها ، بل يستجيبون لها .

فتجلية الفصول الآيات القرآنية ، وخاصة ما يتصـــل منها بشؤون الحياة على اختلاف وجـــوهها وتنوع غاياتها وبأسلوب سهل موجز ، من أجل ما يقدم به الدعاة من خدمة للقرآن واهدافه السامية ، من ناحية ، وللمســـلمين عامة وناشئتهم خاصة التى كادت تنبت صـلتها به ، من ناحية أخرى .

لا سيما أن جل تلك الفصول متصل بشؤون الحيـــاة ، ومحتو ما يجب أن يسير عليـه المسلم والمجتمع الاســلامى والدولة الاســـــلامية ، من نظم واحـكام ومبادىء وقواعـد وتلقينات سياسية واجتماعية واخلاقية وانسانية ونفسية ، وما ينبغى أن يكون عليه المسلم والمجتمع الاسلامى واولو الأمر فى دولتهم ، من صفات وأخلاق خاصة وعامة ، تضمن تحقيق تلك الصورة والمركز » .

وقد فند الاستاذ العلامة محمد دروزة الزعم القائل بأن هذه الدعوة تتعارض مع المصالح القومية العربية ، فقال(١):

« أولا : انه ليس لأحد ان ينكر ان للأمجاد التاريخية اثرا عظيما فى حياة الامم وقوة حيويتها ومقاومتها لصروف الدهر وضرباته الموجعة ، وان الاسلام الذى جاء على يد الرســول

(١) الدستور القرآنى : ص ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

العربى صلى الله عليه وسلم ، بقرآن خلدت به اللغةالعربية وتقدست ، والذى كان له من الاثر العظيم فى حياة البشر وحضارتهم وتوجيههم نحو المثل العليا ، هو من أعظم الامجاد التى تستطيع الامة العربية أن تفخر وتعتز وتزهو بها ،ومن اقوى الحوافز على تحريك الهمم الى استئناف حياة المجد والقوة ، بل أعظمها وأقواها ، وان فى استمداده ،فى تحريك الامة العربية وبعثها من جديد أعظم الفوائد وأقواها ، وان فى محاولة اهمال ذلك ، أو التهوين منه ، أو تجاهله،جحودا منكرا لتلك الامجاد ، وتعطيلا أثيما لهذه الحوافز .

وثانيا : ان الاسلام الذى يمثله القرآن والسنة ، لم يهمل ناحية التنويه بالعرب ومركزهم وشأنهم فى الكيان الاسلامى العام . بل قرر ارتباط مجد العرب وعلو شأنهم به ،وخلد لهم التلقين القوى فى حق البروز والشأنية فى هذا الكيان، وحملهم مهمة هداية البشر وترقيتهم واقامة بنيان الانسانية على أقوى الاسس واعدلها وافضلها ، ونبه على عظيم مسئوليتهم عن هذه المهمة ، وجعل الصلة لاحمة بين ذله وذل العرب ، وعزته وعزة العرب ، حيث ورد فى القرآن آيات عديدة : منها ما فيه التنبيه على ما فى الرسالة المحمدية من علو ذكر لقوم النبى ، ومنها ما فيه تقرير جعل العرب عدولا وشهداء على غيرهم ، ومنها ما فيه الإشادة الى اصطفاء الله العرب للمهمة العظمى وتقرير شأنهم العظيم فى الكيان الاسلامى .

فليس من تعارض ، والحالة هذه ، بين تعاليم القرآن

وبين الطموح إلى الامجاد القومية العربية ، والعزة القومية العربية . بل انه ليصح أن يقال : ان هـــذا من مقتضى تلك التعاليم ، لان في قوة العرب ومجدهم قوة للاسلام ومجده يضاف الى هذا امر خلود اللغة العربية وتقديسها على اعتبارها لغة القرآن والعبادات الاسلامية التي يجب على كل مسلم أن يفقهها ويقدسها ، وما في هذا من الوسيلة الى نشر النفوذ العربي ، وسيادة اللغة العربية ، وخفقان رايات العرب الادبية والروحية والثقافية ، بل والسياسية في مختلف أنحاء الارضين ، مما تبذل الدول الكبرى في سبيله طائل الاموال وعظيم الجهود ، دون أن تناله كما تشتهي . في حين أن القرآن قد أوجبه كواجب ديني وجداني يندفع فيه المسلم اندفاعا دينيا ووجدانيا . وقد أثبتت وقائع التاريخ أن العرب في صدر الاسلام قد فهموا هذا فهما صحيحا وطبقوه على الوجه الذي فهموه ، ولم يروا بينه وبين تعاليم القرآن اي تناقض . واثبتت كذلك أن ما كان من استعلاء غير العرب على العرب انما كان لعوامل سياسية أخرى لم تعد خافية . ولا تمت بسبب الى تعاليم القرآن والاسلام ، ولا يصح القول انها كانت نتيجة لها .

وثالثا ــ ان الخوف من عودة التاريخ كرة أخرى، وابتلاع العرب أو تمزيقهم من قبل الامم الاسلامية الاخرى ــ قد أصبح منتفيا ولم يبق منه الا ذكرى التاريخ . لان الامم المذكورة قد اصبحت منفردة ومستقلة ، ولم يبق في نطاق الاحتمال أن تستأنف قيام كيان اسلامي سياسي موحد مثل

الذى قام فى العصور الاسلامية السالفة . ولان هـذا انما كان نتنجـة لظهور الاسـلام واسـتعلائه وزحف العـرب وفتوحاتهم فى مشارق الارض ومغاربها ، حيث قام بالضرورة سلطان عام وسياسة عامة وكيان سياسى عام ، وكان ما كان من التناحر على السلطان والسيادة فى هـذا الـكيان ، والاستعانة بالعناصر غير العربية ، مما فسح المجال لهـذه العناصر بالتدخل ثم بالاستعلاء .

والعرب اليوم ليسوا فى وضع كذلك الوضع . ولذلك، ليس من المحتمل ان يصيروا الى ذلك المصير .

رابعا : ان التنديد أو التحظير الذى ورد ضد الدعوة الى العصبية انما كان فى الحقيقة ضد الدعـوة الى العصـبية القبلية التى كانت تقاليد العرب قائمة عليها ، والتى كانت تعتبر أساسا للوحدة الاجتماعية عندهم ، وحائلة دون تكتل العرب ووحدتهم القومية العامة ، بحيث استهدف هـذا التنديد أو التحظير اضعاف تلك العصبية الضيقة ، واقامة الوحدة القومية ، والاخوة القومية العامة مقامها فى صـدد تكوين الامة وبناء كيانها العام ، كما هو معلوم لكل من درس احوال العرب وتقاليدهم الاجتماعية وسير الدعوة النبـوية والسيرة النبوية . وقد كان هذا التنديد أو التحظير قبـل انتشار الاسلام الى خارج جزيرة العـرب ، والى امم غير عربية وفى ظروف انحصار الدعوة فى العـرب وجزيرتهم . وفى هذا ، على ما هو المتبادر ، دعامة حاسمة لما قررناه .

وخامسا : ان تعاليم القرآن لا تحتوى اى مانع من اعتبار

غير المسلمين من العرب المسالمين والمتضامنين مع مسلميهم ــ اخوانا لمسلميهم في القومية ، ومن التعامل معهم على هذا الاعتبار في نطاق الدولة والكيان الاجتماعي معا .

وهذه التعاليم أبعد ما تكون عن اثارة اى بغضاء أو عداء لغير المسلمين المسالمين عامة ، بل انها تحث بصراحة ، على البربهم والاقساط اليهم . ومما لا ريب فيه ان لغير المسلمين من العرب المندمجين باخوانهم اندماجا قوميا ، والمتضامنين معهم في السراء والضراء ، والمصالح والمطامح ، الاولوية في مدى هذا الحث .

هذا الى أن الفخر القومي بالاسلام ونبي الاسلام وقرآن الاسلام فخر عام للعرب ، مسلميهم ومسيحييهم ، ولانعتقد ان هناك عاقلا لبيبا من هؤلاء ، لا يندمج فيه » .

***

اتجه المجددون الى دراسة القرآن المجيد دراسة حديثة لا تقف عند حد تفسير غامضه ، وتطبيق علوم اللغة ، من نحو وصرف ، بل عمدوا الى بيان ما يتضمنه من أحكام ، ونظم وأفكار ومبادىء ثم ما تعنيه هذه الافكاروالمبادىءللحياة الانسانية في العصر الحاضر .

فالاستاذ الامام محمد عبده ــ مثلا ــ يقوم منهجه في تفسير القرآن الكريم على هذه الاسس (١)

(١) الدكتور محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ١٤٣ .

١ ـ اخضاع حوادث الحياة القائمة في وقته لنصوص القرآن الكريم ، اما بالتوسع في المعنى ، أو بحمل الشبيه على الشبيه .

٢ ـ اعتبار القرآن جميعه وحدة واحدة متماسكة ؛ لا يصح الايمان ببعضه ، وترك بعض آخر منه ، ثم فهم بعضه متوقف على فهمه جميعه .

٣ ـ اعتبار السورة كلها إساسا في فهم آياتها ، واعتبار الموضوع فيها اساسا في فهم النصوص جميعها التي وردت فيه .

٤ ـ ابعاد الصنعة اللغوية عن مجال تفسير القرآن وابعاد تفسيره عن أن يجعل مجالا لتدريب الملكة اللغوية .

٥ ـ عدم اغفال الوقائع التاريخية ـ في سير الدعوة الى الاسلام ـ في تفسير الآيات التي نزلت فيها .

والشيخ محمد عبده بهذا المنهج في تفسير القرآن الكريم ، لم يعد للقرآن حرمته واعتباره فقط ، بل رسم منه دائرة تستطيع أن تحيط بالحياة الانسانية ، في حاضر الانسان المسلم ، كما أحاطت ، في الماضي البعيد ، بحياة المسلم على عهد الدعوة ، وفي العهد القريب منها بعد ذلك .

وقد دعا محمد اقبال أحرار الفكر من المسلمين الى تجديد الفكر الاسلامي فقال :

ان العالم الاسلامي ـ وهو مزود بتفكير عميق أخاذ وتجاريب جديدة ـ ينبغي عليه أن يقدم في شجاعة على اتمام التجديد الذي ينتظره .

على أن لهذا التجديد ناحية أعظم شأنا من مجرد الملاءمة مع أوضاع الحياة العصرية وأحوالها . فان الحرب العالمية الكبرى بما خلفته من نهضة .. والتجربة الاقتصادية الجديدة التى تجرب على مقربة من آسيا الاسلامية ، يجب أن تفتح أعيننا على ما ينطوى عليه الاسلام من معنى ، وعلى مصيره .

ان الانسانية تحتاج اليوم الى ثلاثة امور :

١ ـ تأويل الكون تأويلا روحيا .

٢ ـ تحرير روح الفرد .

٣ ـ وضع مبادىء أساسية ذات اهمية عالمية توجه تطور المجتمع الانسانى على أساس روحى (١) .

ويقول : وبما أن القاعدة الاساسية فى الاسلام تقول ان محمدا خاتم الانبياء والمرسلين ، فانه ينبغى أن نكون من أكثر شعوب الارض فى الحرية الروحانية .

والرعيل الاول من المسلمين الذين تخلصوا من الرق الروحى فى آسيا الجاهلية لم يكونوا بحيث يستطيعون ادراك المعنى الصحيح لهذه القاعدة الاساسية .

فعلى المسلم اليوم أن يقدر موقفه ، وأن يعيد بناء حياته الاجتماعية فى ضوء المبادىء النهائية ، وأن يستنبط من أهداف الاسلام ـ التى لم تتكشف بعد الا تكشفا جزئيا ـ

---

(١) تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

تلك الديمقراطية الروحية التي هي منتهى غاية الاســـلام ومقصده (١) .

ويقول : فالمجتمع العصرى بما فيه من كفاح مرير بين الطبقات يجب أن يحملنـــا عـلى التفكير ، ولو أننــا درسنا شريعتنا بالنسبة للانقلاب المنتظر فى الحياة الاقتصـــادية الحديثة ، فان من المرجح أن نكشف فى أصول التشريع عن نواح جديدة لم تكشف لنا بعد مما يمكننا أن نطبقه بايمان متجدد بحكمة هذه المبادىء (٢) .

---

(١) نفس المصدر : ٢٠٨ .

(٢) نفس المصدر : ١٩٦ .

القرآن والمجتمع

الاسلام دين عام شامل ، يتناول شئون الحياة جميعا ونظام كامل ، ينتظم امور الدين والدنيا معا .

والقرآن المجيد هو القوة الفعالة التى اعتمدت عليها رسالة الاسلام ، فالقرآن يرشد الناس الى الحق والى الصراط المستقيم ، ويعلمهم كيف ينظمون حياتهم ، ومجتمعهم على الوجه الذى يسعدهم فى الدنيا بالعزة والقوة ، والتمكين والهيمنة على الحق ، وفى الآخرة ، بالرحمة الدائمة ، والنعيم المقيم فتكمل للانسان سعادته فى الدنيا والآخرة .

جاء القرآن المجيد ، وفى العالم مجتمعات متباينةالاسس مختلفة الغايات ، استمدت حياتها من أوضاع بشرية ، وافكار انسانية صرفة ، فاتخذ بعضها العصبية الجنسية أساسا للحياة ، واتخذ البعض الآخر اساس حياته ، العصبية الاقليمية .

والعصبية الجنسية والعصبية الاقليمية ، كلتاهما وليدة نزعات خاصـــة لا تمت الى القلب الانســـانى ، ولا الى الصالح العام البشرى ، وفيمـا بينهما يذوب الضـــمير العالمى ، والروح الانسانى ، ويقضى على الرحم العـام ، الذى يقضى بالتعاون العام ، وبالســلام العــام ، ورعاية المصالح العامة .

وليس شك أن حكمة الله العلى القـدير ، تأبى أن يخلق بشراً ويسويه ويعدله بالعقل ، ويفضـــله على كثير من خلقه ، ويجعله خليفة فى أرضــه ، يظهر رحمتــه وجوده ، ثم يتركه على هذا الوضع ، يأكل بعضه بعضاً .

فكان من رحمته جلت قدرته ، أن أنـزل القـــرآن ، ارشادا وهداية لما يجب أن يسلكه فى تنظيم حياته ، ويتخذه أساسا لمجتمعه ، فنحى الجنسية العصبية ، والاقليميـــة ، ونحوهما ، من الأسس البشرية عن مكانة الاساس الأول للجماعة الانسانية ، وسيما بالانسانية عن أن يكون اجتماعها وترابطها ، راجعين الى اعتبارات ، كثيرا ما تدفع بأصحابها الى التفـرق ، وتغرى بينهم البغضــاء ، وتقضى على روح التعاون والتراحم وتطمس معالم الســـعادة . وجعــل الأساس فى بناء المجتمعات الاعتصام بمبدأ الخير العــام والرحمة الواسعة ، والعـــدل المطلق : « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » (١) .

---

(١) آل عمران : ١٠١

وبذلك تكون الانســـانية مهما اختلفت جنسيـــياتها ، وتباعدت أقاليمها ، وتعددت مذاهبها وآراؤها ، تدور كأنها حول مبدأ ثابت ، فتشعر بالوحدة ، وتنشط فى رفعةشأنها والقيام بواجبها ، يأخذ قويها بيد ضعيفها ، ويواسى غنيها فقبرها ، وبذلك تنمو الحياة وتزدهر ويسعد الناس .

« يا أيها الناس ايا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنـــاكم شعوبا وقبائل لتعارفدا ان أكرمكم عنـــد الله أتقاكم ان الله عليم خبير » (١) .

بنى القرآن الكريم تنظيمه للحياة على هذا الأســـاس ، وجـــاءت كل شرائعـــه وأحـــكامه تعمـــل فى تقويتـــه وتدعيم أركانه .. و ..

والانسان له فى هـــذه الحيـــاة شخصـــيتان ، شخصية مستقلة ، يسأل بها عن نفسه ، فى جسمه وعقله وروحه ، ثم فى عماه وماله . وشخصية أخرى يكون بها لبنة فى بناء المجتمع يسأل بها عما يقدمه لمجتمعه او يقدمه المجتمع له وبقدر ما يكون للانسان من ادراك الحقائق ، وكريم الخلق، وقوة العزيمة ، وسمو الروح ، ونبل الغاية ، يكون لمجتمعه من ذلك كله . وبقدر ما يصـــاب به الانســـان من تســـلط الخرافات والاوهام عليه ، وانحـــلال الخلـــق ، ووهن العزيمة ، وانحطاط الروح ، ودناءة الغاية ، يكون لمجتمعـــه من كل ذلك .

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

فالمجتمع فى الواقع مجموعة أفراد ، وما الافـراد فى واقعها الا المجتمع الذى منها يتكون ، فسعادته من سعادتها، وشقاؤه من شقائها ، وصلاحه من صلاحها ، وفساده من فسادها ، وبناء على ذلك فالبحث عن الاساس الذى عليـه يبنى المجتمع ، هو بحث عن اللبنات التى منها يتكون .

فاذا كانت اللبنات قوية ، صلبة ، متماسكة ، كان المجتمع قويا ، صلبا ، يؤمن بالتراحم والتعاون على البر والتقوى ، ولا يتعاون على الاثم والعدوان . لكن هذا المجتمع لا بد له من مرشـد يهديه سـواء السبيل ، والقرآن كتـاب الله ، يرشد الى الخير والعدل « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » (1) .

وقد أملى القرآن على المسامين الفضـائل الخلقية من صرامة ارادة وقوة نفس ومحاسبتها والانصاف منها ، وكان ايمان المسلم أقوى وازع عرفه تاريخ الاخلاق ، وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية ، وكان ذلك حيث لا تراقبه عين ولا تتناوله يد القانون ، تحـول هـذا الايمان نفسا لوامة عنيفة ووخزا لاذعا للضـمير وخيـالا مروعا ، لا يرتاح معه حتى يعترف بذنبه أمام القانون ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة ويتحملها مطمئنا مرتاحا تفاديا من سـخط الله وعقوبة الآخرة .

---

(1) سورة الاسراء : ٩ .

يروى المؤرخون الثقات فى ذلك طرائف لم يحدث نظيرها الا فى التاريخ الاسلامى . فمنها : ماروى مسلم بن الحجاج القشيرى صاحب الصحيح بسنده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن ما عز بن مالك الأسلمى ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يارسول الله ،انى ظلمت نفسى وزنيت وانى أريد أن تطهرنى » فرده ، فلما كان من الغد أتاه فقال : « يارسول الله انى قد زنيت » فرده الثانية ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومه فقال :

ـ أتعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئا ؟

فقالوا : ما نعلمه الا وفى العقل من صالحينا فيما نرى .

فأتاه الثالثة فأرسل اليهم أيضا فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله .

فلما كانت الرابعة حفر له حفرة ثم أمر فرجم .

قال فجاءت الغامدية فقالت : « يا رسول الله انى قد زنيت فطهرنى » وأنه ردها ، فلما كان الغد قالت : يارسول الله لم تردنى ؟ لعلك أن تردنى كما رددت ماعزا ، فوالله انى لحبلى . قال : اما لا فاذهبى حتى تلدى . قال فلما ولدت أتته بالصبى فى خرقة قالت : هذا قد ولدته . قال : فاذهبى فأرضعيه حتى تطعميه . فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز ، فقالت : هذا يا نبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام . فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ثم أمر فحفر لها الى صدرها وأمر الناس فرجموها ، فاستقبلها

خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها ، فسمع نبى الله سبه اياها ، فقال : « مهلا يا خالد . فوالذى نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » . ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت (١) .

وكان هذا الايمان حارسا لأمانة الانسان وعفافه وكرامته، يملك نفسه النزوع أمام المطامع والشهوات الجارفة وفى الخلوة والوحدة حيث لا يراه أحد ، وفى سلطانه ونفوذه حيث لا يخاف أحدا . وقد وقع فى تاريخ الفتح الاسلامى من قضايا العفاف عند المغنم وأداء الأمانات الى أهلها والاخلاص لله ما يعجز التاريخ البشرى عن نظائره ، وما ذاك الا نتيجة رسوخ الايمان ومراقبة الله واستحضار علمه فى كل مكان وزمان .

قال الطبرى : لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض اقبل رجل بحق معه فدفعه الى صاحب الاقباض ، فقال والذين معه ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه . فقالوا : هل أخذت منه شيئا ؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به . فعرفوا أن للرجل شأنا فقالوا : من أنت ؟ فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدونى ولا غيركم ليقرظونى ، ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه . فأتبعوه رجلا حتى انتهى الى أصحابه فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس (٢) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحدود .

(٢) تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٢٩ .

لقد عمل القرآن المجيد على تحرير الانسان من ربقة أخيه الانسان ، عمل على القضاء على التبعية ، وعلى الرق والعبودية له ودعا الدولة الى أن تنفق جانبا من الأموال التى تحصلها فى فك الرقاب وتحرير العبيد .

وحرر القرآن الانسان من المخاوف الطبيعية — تلك المخاوف التى كان يجرها على نفسه بتفسيره للظواهر الطبيعية تفسيرا خاطئا لا يتصل من قريب أو بعيد بالنواميس الطبيعية والقواعد العلمية .

ودعا القرآن الدولة الى كفالة حد أدنى من المعيشة يحفظ على الانسان كرامته وانسانيته .

ودعا الأغنياء الى أن يسهموا فى هذه العملية بتلبية احتياجات المحتاجين والقضاء على عوز المعوزين . وجعل ذلك علامة من علامات الايمان .

ونبدأ منذ الآن فى التفصيل ..

التحرر الوجدانى

بدأ الاسلام بتحرير الانسان من سيطرة الاوهام والخرافات والخضوع لما لا يملك نفعا ولا ضرا ، والتوسل بالوسائل الزائفة لحماية نفسه ، واتخاذ الناس بعضهم بعضا أربابا من دون الله .

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا

أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولــوا اشـــهدوا بأنا مسلمون » (١) .

يحرص الاسلام على هــذا المعنى حرصا شديدا ، وذلك لما فى عبادة غير الله والخضــوع له والتوسل به من تسخير لقوى الانسان وتعطيل لمواهبه واذلال لنفسه ، فضلاعمافى ذلك من افساد للقوى البشرية والأخلاق الانسانية ، فى حين أن التوحيد والايمان بالله واحد متصف بجميع صـــفات الكمال والحق والعدل والخير والقوة ، من شأنه أن يحرر تلك القوى ويفسح المجال لانطلاقها فى آفاق أرحب دون أن تتقيد بغير قيود الحق والعدل والخير ، والدعوة الى الله قد انطوت على تقرير ما فى الايمان بالله وحده ، والاتجاه اليه وحده بالعبادة والدعاء من فوائد جمة متصلة بشؤون الحياة الدنيا صلة وثيقة ، من حيث توكيد استجابة الله لداعيه ، وذكره لذاكريه ، وقدرته وحده على تفريج مايحل بهم من خطوب ، ومنحهم ما يرجونه من رغائب .

« أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ، أءله مع الله ، قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرســـل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، أءله مع الله ، تعالى الله عما يشركون . أمن يبــدأ

---

(١) آل عمران : ٦٤

الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ، أءله مع الله ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (١) » .

وقد اعاد الاسلام للانسان قيمته ، ليصحح له وضعه فى الحياة والوجود :

« الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبـــات ، ذلكم الله ربكم ، فتبارك الله رب العالمين (٢) » .

وكان وضع الانسان فى الحياة والوجود هذا الوضع لانه المخلوق الذى أعد بطبيعته للانتفاع بالوجود . فالدعوة الى الايمان وحده تنطوى على تعريف الانسان بمنزلته ووضعه وقيمته فى الحياة ، ومن الكرامة للانسان ، كمخلوق متميز على ما عداه من المخلوقات ، أن يعرف وضعه الصحيح وقيمته الذاتية ، ومن المهانة له ، والسخرية منه ، ان يبقى فى دائرة ما انحدر اليه فى الاعتقاد فى عبادة غير الله ممن هو دونه أو مثله فى الخلق (٣) - وهى دعوة التحرير ، والتحرر دعـوة الى العزة والكرامة ، دعوة الى الانطلاق فى الوجود .

ولكى يتحرر الوجدان الانسانى تحررا كاملا ، رد الاسلام القيم الحقيقية للانسان الى اعتبارات معنوية ذاتية، كامنة فى نفس الفرد ، أو واضحة فى عمله ، وبذلك يضـعف تأثير القيم المادية ، وتضؤل آثارها النفسية .

---

(١) سورة النمل : ٦٢-٦٤ .

(٢) غافر : ٦٤ .

(٣) الفرد والمجتمع فى الاسلام للمؤلف ص ١٤ .

يقول القرآن المجيد : « وقالوا : نحن اكثر أموالا وأولادا ، وما نحن بمعذبين ، قل : ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ، الا من آمن وعمل صالحا ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون (١) »

ان كثرة الاموال والاولاد ، لا تجعل لهم ميزة « الا من آمن وعمل صالحا » فالايمان وهو قيمة مكنونة فى الضمير ، والعمل الصالح وهو قيمة واضحة فى الحياة ، هما القيمتان الحقيقيتان اللتان لهما كل الاعتبار .

والاسلام لا يغض مع هذا من قيمة المال ولا من قيمة الابناء : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » زينة بيد أنهما ليسا قيمة من قيمها التى ترفع وتخفض « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا (٢) » .

يستهدف الاسلام تحرير النفس الانسانية ، تحريرا كاملا ، ليحقق لها العدالة الاجتماعية ، ولذلك فهو لا يكتفى بأن يحرر النفس الانسانية من عبودية القداسة ومن خوف الموت والفقر والذل والهوان ، ومن كل الاعتبارات الخارجية والقيم الاجتماعية ، انما يحررها أيضا من لذاتها وشهواتها ، ومطامعها وأهوائها .

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير

---

(١) سورة سبأ : ٣٥-٣٧ .

(٢) سورة الكهف : ٤٦ .

المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب . قل : أؤنبئكم بخير من ذلك ؟ ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد . الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار (١) » .

وليست هذه دعوة الى تخدير الجماهير ولا دعوة الى ترك طيبات الحياة ، انما هى دعوة للتحرر والانطلاق من أسر الشهوات والغرائز ، ثم لا ضرر بعد ذلك من الاستمتاع بالحياة حين يملكها الانسان ولا تملكه .

قل : « من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

ان الاسلام دين اليسر والاعتدال ، لا دين العسر والتشدد والتنطع بالانهماك فى العبادات ، وهجر اللذات ، والاضرار بالنفس ، فلا ينبغى للمسلم أن يكون مفرطا بهجر اللذات ، ولا مفرطا بالانكباب عليها ، لما فى كلا الطرفين من مخالفة الفطرة المستقيمة والبعد عن الجادة .

وخير الامور الحنيفية السمحة المعتدلة . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا

---

(١) سورة آل عمران : ١٤-١٧ .

تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون (١) » .

واذا أنعمنا النظر بكل الفكر الواعي منا ، فيما ورد فى صدد الواجبات التعبيرية وجدناه ينطوى على تقدير ما فى القيام بها من فوائد جمة ، متصلة بشئون الدنيا اتصـــالا وثيقا ، فضلا عن وجوبها لله سبحانه واستحقاقه لها وحده ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتدفع الفرد الى القيام بواجباته نحو الناس ، وتساعده على تحمـل التضحيات ، وتهذب نفسه وتزكى أخلاقه .

يقول الله تعالى : « اتل ما أوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر ، والله يعلم ما تصنعون (٢) » .

« ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين ، الذين هم على صـــلاتهم دائمون ، والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم (٣) »

وفى الصيام ترويض للنفس على الصبر ، وفى الصـيام تضحية للذات ، ومجتمع تكون له هذه الرياضة الروحية شهرا فى كل سنة ، انما يكون له أفضـــل الوســـائل الى الاصلاح والتهذيب النفسى والخلقى .

---

(١) سورة المائدة : ٨٧ـ٨٨ .

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥ .

(٣) سورة : المعارج : ١٩ـ٢٥ .

وغنى عن البيان أهداف الزكاة والجهاد ، فان صلتهما بشؤون الحياة الدنيا أوضح من أن تحتاج الى شرح ، وقد يتحرر الإنسان من كل ما يغض شعوريا من كرامته ، ولكنه يحتاج الى الرغيف ، والبطن الجائعة لا تعرف المعانى النبيلة ، وقد يضطر الى الاستجداء ، فتذهب كرامته كعصف مأكول ، ولذلك فان الاسلام يتولى الامر بالتشريع لمنع أسباب الحاجة والقضاء عليها حين توجد ، فيجعل للفرد حقا فى الكفاية مفروضا على الدولة ، وعلى القادرين فى الامة يعاقب عليه يوم القيامة .

فالاسلام يستهدف العزة والكرامة ، عن طريق العمل النافع والسعى الحميد ، والكد والنصب فى ميدان الحياة ، والحصول على الرزق الحلال من طريقه الحلال ، ليكون الانسان نافعا لنفسه وأهله وعشيرته ، نفاعا لغيره من الناس ، ومن لوازم العزة والكرامة والتحرر الوجدانى أن ينأى الفرد عن سؤال الناس ، ففى الاستغناء عن أموالهم ومتاعهم عزة . أما أموال الزكاة فهى حق ، حق يؤخذ ، لا فضل يوهب « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم (١) » . حق تأخذه الدولة فتنفق منه فى مصالح المسلمين .

المساواة الانسانية الكاملة

يقرر الإسلام أن الناس سواسية كأسنان المشط . وانه

(١) سورة الذاريات : ١٩ .

لا تفاضل بينهم الا على أساس أعمالهم وكفاياتهم وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ووطنه .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، أن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير (١) » .

والناس من أب واحد وأم واحدة وأصل واحد ، وانقسامهم الى شعوب وقبائل انما هو متصل بنظام الكون والمجتمع . ولا يصح أن يكون مبررا لاى تفاوت وتمايز بينهم .

وشرع الاسلام المساواة بين الرجل والمرأة فيما هو من خصائص الانسانية فى الدنيا والآخرة . قال تعالى : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض (٢) » .

والمرأة ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل ، مسئولة عن نفسها ، وعن عبادتها ، وعن بيتها وعن جماعتها . « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » .

واذا كانت المرأة مسئولة ، مسئولية خاصة فيما يختص بعبادتها ونفسها فهى فى نظر الاسلام مسئولة أيضا مسئولية عامة فيما يختص بالدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩٥ .

وصرح القرآن المجيد بمسئوليتها فى ذلك وقرن بينها وبين الرجل فى تلك المسئولية كما قرن بينها وبينه فى مسئولية الانحراف عن واجب الايمان والاخلاص لله وللمسلمين .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم (٢) » .

ان مسئولية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هى أكبر مسئولية فى نظر الاسلام وقد سوى الاسلام فيها بصريح القرآن بين الرجل والمرأة .

وأباح الاسلام للمرأة أن تتعلم ، بل جعله فريضة عليها ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

وبهذا صار الاسلام أول من قرر تعميم التعليم بين الجنسين على السواء ، وللمرأة أن تبلغ منه الحد الذى تبتغيه وتريده .

وللمرأة أن تملك ، وأن تتصرف فيما تملك ، ولها أن توكل غيرها فيما لا تريد مباشرته بنفسها ، ولها أيضا أن تضمن غيرها وأن يضمنها غيرها .

---

(١) سورة التوبة : ٧١

أما فى الزواج ، فقد صحت الاحاديث الكثيرة فى وجوب استئذان المرأة عند زواجها وحتمت على الثيب أن تصرح بالاذن ، واكتفت من البكر ترخيصا لها أن تجرى على عادتها في الحياء الذى يمنعها من التصريح ، وأن يكون منها ما يدل على الرضا ، فالحق حقها ، والشأن شأنها .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها ، واذنها صمتها » .

وقال ابن القيم : وهذا ــ يريد رضاها بالزواج وعدم اجبارها ــ هو ما ندين لله به ، ولا نعتقد سواه ، وهو الموافق لحكم رسول الله ، وأمره ونهيه ، وقواعد شريعته، ومصالح أمته ، الى أن قال : ان البكر العاقلة الرشيدة لا يتصرف ابوها فى أقل شيء من ملكها الا برضاها ولا يجبرها علي اخراج اليسير منه الا باذنها ، فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بغير رضاها ؟ ومعلوم أن اخراج مالها كله بغير رضاها اسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره .

ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئا من مالها ، قل ذلك الشيء أو كثر .

قال تعالى : « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ؟ وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا (١) » .

---

(١) سورة النساء : ٢٠ ، ٢١ .

واذا كان لايجوز للزوج أن يأخذ شيئا مما سبق ان اتاه لزوجته ، فلا يجوز له من باب أولى أن يأخذ شيئا من ملكها الأصيل ، الا أن يكون هذا أو ذاك برضاها وعن طيب نفس منها . وفى هذا يقول الله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نخلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا (١) » .

ولا يحل للزوج كذلك أن يتصرف فى شيء من أموالها الا اذا أذنت له بذلك أو وكلته فى اجراء عقد بالنيابة عنها . وفى هذه الحالة يجوز أن تلغى وكالته وتوكل غيره ان شاءت.

أما ايثار الرجل بضعف نصيب المرأة فى الميراث ، فمرده الى التبعة التى يضطلع بها الرجل فى الحياة ، فالرجل يحتمل نفقات الاسرة من زوجة ، وأبناء واقارب ، فمن حقه ان يكون له مثل حظ الانثيين لهذا السبب وحده . فى حين أنها مكفولة الرزق اذا تزوجت بما يعولها الرجل ، ولها اذا ما طلقت ، نفقة العدة على نحو ما وجبت لها فى حياتها الزوجية وأوجب لها « المتعة » . وهى ما يبذله الرجل بعد طلاقها غير نفقة العدة ، مما تحفظ به نفسها وكيانها . « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين (٢) » .

فالمسألة هنا مسألة تفاوت فى التبعة اقتضى تفاوتا فى الارث .

وأما ان الرجل قوام عليها : « الرجال قوامون على

(١) سورة النساء : ٤ .

(٢) سورة البقرة : ٢٤١ .

النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم (١) » .

قال الاستاذ محمد عبده : « المراد بالقيام هنا هو الرياسة التى يتصرف فيها المرءوس بارادته واختياره . وليس معناها أن يكون المرءوس مقهورا مسلوب الارادة ، لا يعمل عملا الا ما يوجهه اليه رئيسه ، فان كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن ارشاده ، والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده اليه — أى ملاحظته فى أعماله وتربيته (٢) » .

وقد يبدو أن هناك تفضيلا آخر فى مسألة الشهادة : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » الى أن قال : « واستشهدوا شاهدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » (٣)

وليس معنى هذا أن شهادة المرأة الواحدة ، أو شهادة النساء اللاتى ليس معهن رجل لا يثبت بها الحق ، ولا يحكم بها القاضى ، فان أقصى ما يطلبه القضاء هو « البينة » . وقد حقق العلامة ابن القيم أن البينة فى الشرع أعم من الشهادة ،

---

(١) سورة البقرة : ٣٤ .
(٢) تفسير المنار : جـ ٥ ص ٦٨ .
(٣) سورة البقرة : ٢٨٢ .

وان كل ما يتبين به الحق ويظهره ، هو بينة يقضي بها القاضي ويحكم . وفى ذلك يحكم القاضي بالقرائن القطعية ، ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن اليها . واعتبار المرأتين في الاستيثاق كالرجل الواحد ليس لضعف عقلها الذى يتبع نقص انسانيتها ويكون أثرا له ، وانما هو لأن المرأة ـ كما قال الاستاذ الشيخ محمد عبده ـ « ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات ، ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ، ولا تكون كذلك فى الامور المنزلية التى هى شغلها ، فانها فيها أقوى ذاكرة من الرجل ، ومن طبع البشر عامة أن يقوى تذكرهم للأمور التى تهمهم ويمارسونها ويكثر اشتغالهم بها » .

وللناس جميعا كراماتهم التى لايجوز أن تهدر بلمز،ولا أن يسخر منها أحد « يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » (١) .

وللناس جميعا حرماتهم التى يجب أن تصان : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان له

---

(١) سورة الحجرات : ١١ .

تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم ، والله بما تعملون عليم » (١) .

ويسوى الاسلام فى الحقوق بين المسلمين وغير المسلمين ، فيقرر أن الذميين فى بلد اسلامى أو فى بلد خاضع للمسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق عامة وعليهم ما على المسلمين ، وينبغى على الدولة أن تقاتل عنهم كما تقاتل عن جميع رعاياها ، وتطبق عليهم القوانين القضائية التى تطبق على المسلمين الا ما تعلق منها بشئون الدين فتحترم فيه عقائدهم وشعائرهم ، فلا توقع عليهم الحدود الاسلامية فيما لا يحرمونه ولا يعاقبون أنفسهم عليه .

التكافل الاجتماعى

ان أفراد الانسان ليست وحدات يستقل بعضها عن بعض ، وانما هى بطبيعة ما خلقت عليه ، وما تحتاجه فى الحياة وحدات تتبادل المنافع ، وتتعاون على المصالح ، وبهذا التعاون الضرورى للحياة يتحقق المجتمع الانسانى .

وقد أدرك العالم فى عصره الحديث هذه الحقيقة،وبدا ينادى « بالتكافل الاجتماعى » بين أفراد المجتمع ، ولكنه قصر مفهوم التكافل الاجتماعى على تحقيق المطالب المعاشية للفئات المحرومة من الغذاء والكساء والسكن وما أشبهها .

ولكن الاسلام لم يقف فيما يحقق المجتمع الانسانى عند

(١) سورة النور : ٢٧ــ٢٨ .

هذا الحد الطبيعي الذى كثيرا ما تطغى عليه العوامل النفسية والشخصية ، فتخرجه عن حد الاعتدال اللازم للهدوء والسعادة ، والامن والاستقرار ، بيد أنه شد أزر الطبيعة الاجتماعية بما يقويها ويقيمها من الانحراف والانحلال .

فربط بين أفراد الانسان برباط قلبي يوحد بينهم فى الاتجاه والهدف ، ويجعل منهم وحدة قوية متماسكة ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، سداها المحبة ولحمتها الصالح العام ، وهدفها السعادة فى الدنيا والآخرة .

قرر الاسلام الاخوة بين المسلمين ، قال تعالى : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١) » .

وهذه الاخوة الدينية اعتبرها الاسلام ، كأساس من أسس دولتهم وجماعتهم ، وقد امتن الله بها على رسوله وعلى المؤمنين ، فذكرهم بنعمة التآلف بعد التقاطع : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

ومن مقتضيات هذه الاخوة ، التكافل الاجتماعي بين المسلمين ، والتكافل الاجتماعي ، هو ايمان الافراد بمسئولية بعضهم عن بعض هو ايمانهم بان كل واحد منهم ، حامل

---

(١) الحجرات : ١٠ .

لتبعات أخيه ، ومحمول بتبعاته على أخيه ، فاذا ماأحسن، كان احسانه لنفسه ولاخيه ، واذا ما أساء ، كانت اساءته على نفسه وعلى أخيه (١) .

« وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون (٢) » .

وجاء على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم : ..

« لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى ودخل النقص عليهم فى دينهم نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ولم يمنعهم العصيان عن مخالطتهم فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ففرق كلمتهم وأذلهم وشتت شملهم » .

ثم قرأ : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (٣) » .

ويجعل القرآن خيرية الامة وصلاحها ونجاحها منوطا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٤) »

ويستهدف الاسلام قيام مجتمع اسلامى قوى ، يشد

---

(١) الاستاذ محمود شلتوت : منهج القرآن فى بناء المجتمع ص ٨١ .
(٢) سورة العنكبوت : ١٣ .
(٣) سورة المائدة : ٧٨-٧٩ .
(٤) آل عمران : ١١٠ .

بعضه بعضا ، متحد الغايات النبيلة ، التى تحقق له سعادته وقوته وكرامته . ولذلك فهو يحذر من موالاة الاعداء ، لما فى ذلك من تعريض مصلحة المجتمع وكيانه للخطر .

ويحذر القرآن المسلمين من الفرقة وايجاب الولاء بينهم على كل حال ، ويوجب الاعتصام بالوحدة والصلح فيما بينهم ، والاصلاح بين من يقع بينهم نزاع وقتال ، مما له صلة وثيقة بحفظ كيان المجتمع موحدا قويا عزيزا .

وهناك تكافل بين الفرد وأسرته « وبالوالدين احسانا . اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل : رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا (١) »

والأمة الاسلامية مسئولة عن الفقراء ، والمساكين والجياع والمعسرين والمحرومين ، وقد أوجب القرآن الاهتمام بأمر هؤلاء وأولئك بالمساعدة المادية والادبية والاخذ بيدهم ، فضلا عن أنه واجب لذاته بغض النظر عن أى اعتبار فانه من شأنه أن يشعرهم بقيمة الحياة والحق والتضامن ، وأن يجعلهم أعضاء نافعين فى المجتمع . كما أن فى هذا المظهر من مظاهر التعاطف والتراحم الذى لا تتوطد الوحدة الاجتماعية الا به .

وقد حث القرآن على التصدق والانفاق على الفقراء والمساكين .

---

(١) الاسراء : ٢٣-٢٤ .

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون (١) » .

يقول الاستاذ الشيخ محمد عبده عند تفسيره لمعنى الفقرة القرآنية « وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين » ما يلى :

هذا الايتاء غير ايتاء الزكاة . وهو ركن من أركان البر ، وواجب الزكاة ، وذلك حيث تعرض الحاجة الى البذل فى غير أوقات الزكاة :

١ ــ بأن يرى الواحد مضطرا بعد اداء الزكاة او قبل اتمام الحول .

وهو لا يشترط فيه نصاب معين ــ بل هو حسب الاستطاعة . فاذا كان لا يملك الا رغيفا ، ورأى مضطرا إليه فى حال استغنائه عنه ــ بأن لم يكن محتاجا اليه لنفسه أو لمن تجب عليه نفقته ــ وجب عليه بذله .

وليس المضطر وحده هو الذي له الحق فى ذلك ، بل أمر الله تعالى المؤمن أن يعطى من غير الزكاة ذوى القربى ــ وهم

(١) سورة البقرة : ١٧٧ .

احق الناس بالبر والصلة : فان الانسان اذا احتاج وفى اقاربه غنى فان نفسه تتوجه اليه بعاطفة الرحم .

ومن المغروز فى الفطرة أن الانسان يألم لفاقة ذوى رحمه ، وعلمهم ، أشد مما يألم لفاقة غيرهم . فانه يهون بهوانهم ويعتز بعزتهم .

فمن قطع الرحم ، ورضى بأن ينعم وذوو قرباه بائسون ، فهو برىء من الفطرة والدين ، بعيد من الخير والبر .

ومن كان أقرب رحما كان حقه آكد ، وصلته أفضل(١)

والقرآن المجيد حين يؤكد هذه العلاقة لا يرضى ابدا ان تمتد آثارها الى ما يفقد العدالة سلطانها أو قوتها ، ومن هنا راح يؤكد معنى العدالة ، وينص على انها يجب الا تهتز فى يد القائم عليها ، ولو لذوى القربى ، أو صاحب نفوذ أو سلطان .

يقول الله تعالى : « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » -

ويقول : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى » .

والامة مسؤولة عن حماية الضعفاء فيها ، ورعاية مصالحهم ، وعليها أن تقاتل عند الضرورة لحمايتهم « ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان (١) » .

(١) تفسير المنار جـ ٢ ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) سورة النساء : ٧٥ .

وعليها أن تحافظ على أموالهم حتى يرشدوا «وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ، ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف . فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسيبا (٢) » .

ويعتبر الاسلام المجتمع مسؤولا عن صيانة الاخلاق العامة . وبذلك وجب أن ينكر المجتمع على مرتكبى المنكرات الخلقية وغيرها . ولا يعتبر الاسلام ذلك تدخلا منه فى الجريات الشخصية لان الفساد والمنكر يأتى على بنيان المجتمع من القواعد .

وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا رائعا للتكافل الاخلاقى فى المجتمع ، ذلك التكافل الذى يأخذ على أيدى العابثين والمخربين بقوله :

« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم (منعوهم من خرق السفينة) نجوا ونجوا جميعا » .

---

(١) سورة النساء : ٦ .

ان الاسلام حين يقرر التكافل الاجتماعى لايجعله قاصرا على المطالب المادية فحسب ، بل يجعله شاملا لكل نواحى الحياة المادية والمعنوية معا .

العدالة الاجتماعية فى الاسلام

يستهدف الاسلام تحقيق العدالة الاجتماعية ، وهو لا يقصرها على الماديات فحسب ، ولا أن يكون التشريع وحده هو الذى يكفلها ، انما أراد أن تكون عدالة اجتماعية شاملة ترتكز على دعامتين : الضمير الانسانى ، والتشريع .

ومن هنا ، كانت عناية الاسلام بالخلق ، عناية كبيرة ، وقد وصلت هذه العناية عند الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن جعل الخلق ، متعلق برسالته : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

ان اصلاح الباطن أساس لكل اصلاح ظاهري ، ولا بقاء لاصلاح خارجى الا اذا تركز وكان نتيجة وأثرا للاصلاح الباطنى ، والاخلاق الفاضلة ، هى الكفيلة بالاصلاح الباطنى ، وهى الشجرة التى ثبت أصلها وبسق فرعها ، وطاب ثمرها وآتت اكلها كل حين باذن ربها . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » من أقوى العبارات المأثورة فى القضية الطبيعية ، قضية الضمير ، وهى « صلاح الظاهر نتيجة لصلاح الباطن » (١) .

(١) الاستاذ محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ص ٣٩٢ .

والاسلام لم يترك هذا الضمير لذاته ، بل اقام عليه رقيبا من خشية الله ، وصور له رقابة الله فى صور رائعة .

« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد . اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (١) » .

ولقد بشره وانذره . وجعل كل عمل من أعماله محسوبا عليه فى الدنيا والآخرة لا مناص من عاقبته ، ولا مفر من جزائه .

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (٢) » .

اعتمد الاسلام فى ارساء قواعد العدالة الاجتماعية ، على الضمير الانسانى الذى سما به الى معاريج السموات ، وعلى التشريع الذى جاءت به شريعته ، وبهذه الوسيلة اقام مجتمعا ترفرف عليه الرفاهية وتسوده المحبة والكفاية والعدل .

وسنعرض هنا نموذجا من تلك الطريقة فى التشريع والتوجيه ، ونختار موضوع الزكاة والصدقة . .

الزكاة : هى الركن الثالث فى الاسلام ، وهى حق يؤخذ ،

---

(١) سورة ق : ١٦-١٨ .

(٢) سورة الانبياء : ٤٧ .

وليس هبة تعطى ، وتشرف الدولة على استيفائها وتوزيعها كشأن الضرائب التى تأخذها الدولة من المواطنين ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم (١) » .

ونص الشافعى على أن للفقير أحقية استحقاق المال حتى صار بمنزلة المشترك بين صاحبه وبين الفقير ، ويجوز للفقير أن يأخذ مقدار الزكاة اذا ظفر به وكان صاحبه قد امتنع عن أدائه ، وفى هذا اخراج الزكاة عن أن تكون مظنة للذلة والمهانة للفقير كما يتوهم بعض الناس (٢) .

والزكاة واجبة على الغنى فيما يفضل عن حاجته وحاجة من ينفق عليهم ، من ماله النقدى ، وقيم أعيانه التجارية ، ومواشيه ، وثمار زرعه ، بنسب معروفة عند المسلمين ، يقوم مجموعها بحاجة الفقير والمصالح ولا ترهق أربابها .

والقرآن الكريم يذكر مقومات الايمان ، ويكون منها بعد وجل القلوب من ذكر الله ، وزيادة الايمان بآياته : « الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) » .

أما أساليب الترغيب فى الانفاق ، فحسبنا أن نقرأ هذه الآيات الواردة فى سورة البقرة :

« من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » .

---

(١) سورة الذاريات : ١٩ .

(٢) الدكتور مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام ص ٢٢٣ .

(٣) سورة الانفال : ٣ .

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

ويعلق الاستاذ الشيخ محمد عبده على طلب القرآن الكريم الاقتراض لله من الناس فيقول : معلوم أن الله تعالى غني عن العالمين فلا يحتاج إلى شيء لذاته ، ولا هو عائل لجماعة معينين فيقترض لهم ، فلابد لهذا التعبير بالاقراض من وجه صحيح ــ أى غير ما يعطيه الاسلوب من الترغيب ، فما هو هذا الوجه ؟

وزد فى الحديث أن الفقراء عيال الله على الاغنياء ــ لان الحاجات التى تعرض لهم يقضيها الاغنياء .

ومعنى كونهم عيال الله أن ما أصابهم من الفاقة والعوز انما كان بالجرى على سنن الله فى أسباب الفقر .. وللفقر أسباب كثيرة ..

والاغنياء متمكنون من ازالة بعض هذه الاسباب أو تدارك ضررها ، واضعاف أثرها كازالة البطالة ، باحداث أعمال ومصالح للفقراء ، وازالة الجهل بالانفاق على التربية والتعليم .

واذا كان فقر الفقير انما هو بالجرى على سنة من سنن الله ــ فازالة سبب فقره ، أو مساعدته عليه ، أو فيه ، أنما يجرى على سنة من سننه تعالى .

فالانفاق لإحياء سنة الله ومساعدة من ينتسبون الى الله

تعالى على أنهم عياله – اذ لا غنى لهم بكسبهم ولا حول لهم ولا قوة – ينزل منزلة الاقراض له تعالى .

ويراد بالانفاق في هذه الآية الانفاق فى المصالح العامة (١)

وكثير من آيات القرآن الكريم تدل على أن الاسلام ينظر الى التمليك على انه مجرد وظيفة يقوم صاحبها بانفاق المال على مستحقيه ، وينظر الى المالك على انه مستخلف على ثروته من قبل الله لانفاقها فى سبيله .

وفى هذا يقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير (٢) » .

ويفسر الزمخشرى هذه الآية بقوله : يعنى أن الاموال التى فى أيديكم انما هى أموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى بأموالكم فى الحقيقة ، وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فأنفقوا منها فى حقوق الله وليهن عليكم الانفاق كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا أذن فيه .

يعترف الاسلام بالملكية الفردية ويقرها ، وليس شك فى أن تقرير الملكية الفردية والاعتراف بها يحقق العدالة بين الجهد والجزاء ، فضلا عن مسايرته للفطرة واتفاقه مع

---

(١) تفسير المنار : جـ ٢ ص ٢٦٤ .

(٢) سورة الحديد : ٧

الميول الاصيلة فى النفس البشرية ،تلك الميول التى يحسب الاسلام حسابها فى اقامة نظام المجتمع ، وفى الوقت نفسه يتفق مع مصلحة الامة باغراء الفرد على بذل أقصى جهد فى استطاعته لتنمية الحياة .

ولكن الاسلام لا يترك حق الملكية الفردية مطلقا ، بل انه يعترف به ويقرره ، ويقرر الى جانبه مبادىء أخرى تكاد تحيله حقا نظريا .

يقرر الاسلام أن المال ، ملك لله الذى لا مالك لشىء سواه ، وجعل المالكين مستخلفين فى حفظه وتنميته وانفاقه .

« آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه (١) »

وأضاف مرة أخرى الى الامة ، وجعله كله بتلك الاضافة ملكا لها .

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل (٢) »

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما (٣) »

فأرشد بذلك الى أن الاعتداء عليها ، أو التصرف السىء فيها ، هو اعتداء أو تصرف سيىء واقع على الجميع . وذلك نتيجة لما قرره الاسلام من أن المال أداة لمصلحة المجتمع كله . به توجد الصناعة وتحيى الارض ، وبه تكون التجارة ثم به

---

(١) سورة الحديد : ٧

(٢) سورة البقرة : ١٨٨ .

(٣) سورة النساء : ٥ .

يساهم أصحابه في سد حاجة المحتاجين واقامة المشروعات العامة النافعة ان لم يكن بدافع التعاون والتراحم ، فبحكم الفرض الذى أوجبه الله تعالى فى أموال الاغنياء للفقراء، فى سبيل الله ، ويحكم الضرائب التى يضعها ولى الامر حسب تقدير ما تحتاجه البلاد من مشروعات الاصلاح والتقدم .

وحيث يقر الاسلام دوام الملكية لا يقره الا فى الحدود التى وضعها للميراث . ونظام الميراث فى الاسلام من أحسن النظم لتوزيع الثروات بين الناس ، وذلك لانه يقسم التركة على عدد كبير من أقرباء المتوفى ، فيوسع بذلك نطاق الانتفاع بها ويحول دون تجمع ثروات هائلة فى يد حفنة محدودة من الناس . وبفضل هذا النظام الحكيم لا تلبث الثروات الكبيرة التى قد تتجمع فى يد بعض الافراد أن تتوزع ملكيتها بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الناس وتتحول الى ملكيات صغيرة .

وهذه هى أمثل طريقة لتقليل الفروق بين طبقات المجتمع وتقريبها بعضها من بعض ، وتحقيق الاشتراكية فى أبهى صورها . ولحرص الاسلام على تحقيق هذه الاهداف حظر على الشخص أن يوصى لاحد ورثته بما يعطيه أكثر من حقه الشرعى ، كما حظر عليه أن يوصى لغير ورثته بأكثر من ثلث التركة ، ومن أجل ذلك أيضا حرمت معظم المذاهب الاسلامية نظام الوقف الاهلى وهو أن يحبس المالك غلة ملكه بعد وفاته على فئة محدودة من أقربائه أو من غيرهم بمقادير وشروط

يمينها وفق ما يشاؤه وتشاء له أهواؤه ، لما فى ذلك من حبس الثروة عن التداول ومن اخلال بقواعد الميراث (١) ».

ويكره الاسلام أن يحبس المال فى أيدى فئة خاصة من الناس . يقول الله تعالى فى سورة الحشر :

« ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب . للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » .

وقد نزلت سورة الحشر فى بنى النضير (٢) ، وهم رهط من اليهود بقرب المدينة ، وكانوا قد صالحوا الرسول صلى الله عليه وسلم على ألا يكونوا عليه ولا له . فلما هزم المسلمون فى موقعة أحد أظهروا العداوة له ، ونقضوا العهد ، وحالفوا قريشا على أن يكونوا يدا واحدة عليه صلى الله عليه وسلم ، فحاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة ، ولما قذف الله فى قلوبهم الرعب طلبوا الصلح ، فأبى عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم الا الجلاء ، على أن لهم ما أقلت الابل من الامتعة والاموال ، أو السلاح ، فجلوا

(١) الدكتور على عبدالواحد وافى وزميله : قصة الملكية فى العالم ص١٤٨

(٢) الاستاذ الشيخ محمد حسنين مخلوف : صفوة البيان لمعانى القرآن جـ ٢ ص ٤١٣ .

الى خيبر والحيرة وأريحا ، وأذرعات بالشــام . وقد نزلت الآية الكريمة حين طلب الصحابة من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقسم بينهم أموال بنى النضير قسمة الغنائم فبين الله تعالى أنها فىء لا غنيمة ، اذ انهم لم يقطعوا لها شقة ، ولم يلقوا فيها مشقة ، ولم يلتحموا فيها بقتال شديد .

واحتبس صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير شيئا لنوائبه ، وقسم أكثرها بين فقراء المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا سوى ثلاثة نفر إعطاهم لفقرهم .وقال للانصار : « اذا شئتم قسمت أموال بنى النضير بينكم وبينهم وأقمتم عــلى مواساتهم فى ثمــاركم . وان شئتم أعطيتها للمهاجرين دونكم وقطعتم عنهم ما كنتم تعطونه من ثماركم » . فقالوا : بل تعطيهم دوننــــا ونقيم على مواساتهم ، فأعطى المهاجرين دونهم ، فاستغنى القوم جميعا ، المهاجــرون بما أخذوا ، والانصار بما رجع اليهم من ثمارهم .

وتضخم المال فى أيدى حفنة صغيرة من الناس ، يؤدى الى البطالة والترف ، كما يؤدى الى الاكتناز ، لانه قائم على غير سببٍ سليم ، مما يخلق فى نفوس أصحابه شيئا من عدم الثقة والقلق ، ويكون علاجه فى نظر هـــؤلاء هو حبسه عن التداول كوسيلة من وسائل الامان .

والترف آفة تؤدى الى الانحلال ، ثم الى العصــــيان ، والضياع . والكنز لا يقره الاسلام ، لانه يؤدى الى حرمان المجتمع من طاقات لازمة للانتاج .

يقول الله تعالى فى الترف والمترفين ، مما يكشف سوءات الترف ويحذر من مخاطره .

« واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين (١) »

وفى سوء العاقبة التى تنزل بالمترفين فى الدنيا يقول :

« وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ، فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون ، لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ، قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (٢) »

وفى سوء المصير الذى أعد لهم فى الآخرة يقول :

« وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ، فى سموم وحميم ، وظل من يحموم لا بارد ولا كريم ، انهم كانوا قبل ذلك مترفين (٣) » .

وفى الكنز يقول :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون (٤) » .

---

(١) سورة الاسراء : ١٦ .

(٢) سورة الانبياء : ١١-١٥ .

(٣) سورة الواقعة : ٤١-٤٥ .

(٤) سورة التوبة : ٣٤-٣٥ .

وهناك نوع من الاموال التى لا يجوز احتجازها للافراد ، عدد الرسول صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة :

الماء والكلأ والنار « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار » .

بوصفها مواد ومرافق عامة ضرورية للمجتمع فى البيئة العربية ، فالانتفاع بها للجماعة كلها*. والضروريات لحياة المجتمع تختلف فى بيئة عن بيئة ، وفى عصر عن عصر ، والقياس — وهو أحد أصول التشريع الاسلامى — يتسع لغيرها عند التطبيق لما هو فى حكمها .

نظام الحكم فى الاسلام

يقرر القرآن الكريم : أن الله عز وجل هو الخالق للكون وما فيه من كائنات ، فهو رب العالمين وانه مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، فهو السيد المطلق وحده ، والناس كلهم عبيده ، وهم سواء فى درجة العبودية لله ، كما انهم سواء فى نسبتهم الى الخالق المالك ، لا يتفاضلون الا بمبلغ ايمانهم بالله ، واستمساكهم بدينه ، ومدى ما يقدمونه من خدمات لصالح المسلمين .

وقد جعل القرآن الحكم أمانة يجب أن تؤدى على الوجه الاكمل وخدمة للمسلمين .

وتقوم قواعد النظام الاسلامى على أسس العدل من الحكام ، والطاعة من المحكومين ، والشورى بين الحاكم والامة

١ ـ العدل من الحكام :

ورد الامر بالعدل صريحا فى القرآن الكريم ، وقد جعله الله تعالى غاية الحكم : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا (١) » .

يقول الطبرى (٢) فى تفسير هذه الآية : وأولى الاقوال بالصواب ، فى ذلك عندى ، قول من قال هو خطاب من الله الى ولاة أمور المسلمين ، بأداء الامانة الى من ولوا أمره ، فى فيئهم وحقوقهم ، وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم فى القضية ، والقسم بينهم بالسوية . ووضح معنى العدل بعد ذلك فقال : ذلك حكم الله الذى أنزله فى كتابه وبينه على لسان رسوله ، لا تعدوا ذلك فتجوروا عليهم .

والعدل واجب حتى للأعداء ، وقد جاء النص على ذلك صريحا فى الآية الكريمة :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا . اعدلوا ، هو أقرب للتقوى . واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (٣) » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لا تزال هذه الامة بخير ما اذا قالت صدقت ، واذا حكمت عدلت ، واذا استرحمت رحمت » .

---

(١) سورة النساء : ٥٨ .

(٢) التفسير الكبير : جـ ٥ ص ٨٦ .

(٣) سورة المائدة : ٨ .

ويقول : « أحب الخلق الى الله امـام عادل ، وأبغضهم اليه امام جائر » .

٢ ــ الطاعة من المحكومين

« ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولى الامر منكم (١) »

والطاعة لولى الأمر مستمدة من طاعة الله والرسـول ، لان ولى الامر فى الاسلام لا يطاع لشخصه ، وانما يطاع لقيامه على شريعة الله ورسوله . وفى تنفيذه لهذه الشريعة يستمد حق الطاعة ، فاذا حاد عنها أو انحرف سقطت طاعتـه ولم يجب لامره النفاذ .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، الا أن يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

ولكن ليس على المسلمين واجب الطاعة لمن يتغلب عليهم من غيرهم . وفى هذا ما فيه من تلقين المسلم عدم الخضوع لحكم الاجنبى وعدم الرضاء به ، والاستسلام له . وحفزه على التمرد عليه والثورة ضده والتخلص من سيطرته وبذل ما يستطيع من جهد فى هذا السبيل . وقـد أمـر القرآن المسلمين بالاستجابة الى الرسول الـكريم اذا ما دعاهم الى ما فيه حياتهم ومصلحتهم ، وبما أن ما خوطب به الرسول فى شئون الدولة مستمر المدى والتلقين بعـــده ، فان أولى

(١) سورة النساء : ٥٩ .

الامر مقيدون بما فيه مصلحة المسلمين ، وحياتهم وخيرهم ، وانهم ليس لهم أن يدعوهم الى أمر يخالف ذلك ، كما أنه ليس على المسلمين أن يستجيبوا الى من يفعل ذلك أويطيعوهم.

يقول القرآن المجيد :

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم (١) » .

وهذا القيد واضح أيضا فى جملة « ولا يعصينك فى معروف » الواردة فى آية « الممتحنة » :

« يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله (٢) » .

فهذه الجملة لا تدع مجالا للشك فى انه ليس لاولى الامر أن يأمروا المسلمين بما فيه منكر واثم وانحراف عن جادة الحق والصالح العام ، وبأنه ليس على المسلمين أن يطيعوهم فى ذلك .

وهكذا تكون الآيتان قد احتوتا تقرير انعقاد عقد ضمنى بين المسلمين وأولى أمرهم ، على الاولين فيه الطاعة للاخرين والتضامن معهم ، فيما فيه الصالح العام والحق والخير والمعروف وعلى الاخرين أن لا يطلبوا ولا يأمروا ولا يدعوا الى

---

(١) سورة الانفال : ٢٤ .

(٢) سورة الممتحنة : ١٢ .

مافيه من انحراف عن ذلك . ومن توابع هذا او ملهماته منح المسلمين حق الانصراف عن من يسيرون فيهم سيرة باغية من أولى الامر منهم ، وحق التملل من الخضوع لهم وطاعتهم، وفى هذا ضمان قوى لصلاح أولى الامر والتزامهم جادة الحق والمعروف والعدل .

وكلمة « معروف » الواردة فى آية « الممتحنة » هى كلمة عامة المعنى ، تتناول كل ما عرف انه حق وخير وبر وصلاح وكرامة وعدل ، وكل ما هو متسق مع أوامر الله والرسول ونواهيهما وكل ما رأى أهل الحل والعقد أن فيه مصلحة المسلمين وحياتهم وخيرهم وصلاحهم مما ليس فيه نص قرآنى صريح أو سنة نبوية ثابتة (١) .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

ـ « لا طاعة لمخلوق في معصية الله »

وقال أبو بكر الصديق غداة توليته :

« انى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ، الصدق امانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى ارد عليه حقه ان شاء الله . والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه أن شاء الله ، ولا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله

---

(١) الدستور القرآني ، ص ٦٧ .

بالبلاء ، اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فان عصيت فلا طاعة لي عليكم » . وهذا وذاك يفسران ويدعمان ما قلناه .

٣ ـ الشورى :

وردت الشورى صريحة في القرآن المجيد :

ـ « والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة ، وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

ـ « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

ـ « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

وثالث هذه الآيات أدل على النظام النيابي من الآيتين الاولى والثانية في نظر الاستاذ الشيخ محمد عبده ، وحجته في ذلك :

أ ـ ان الآية الثانية فيها أمر بالمشاورة يقتضي وجوبه اكثر ما تدل عليه ان هذا الشيء ممدوح في نفسه ، محمود عند الله .

ب ـ أن الآية الثانية فيها أمر بالمشاورة يقتضي وجوبه على المأمور بالمشاورة وهو الرئيس الذي يلي الحكم ـ ولكن اذا لم يكن هناك ضامن يضمن امتثاله للامر فماذا يكون اذا هو تركه ؟ .

جـ ــ أن الآية الثالثة تفرض ان يكون فى الناس جماعة متحدون أقوياء يتولون الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ــ وهو عام فى الحاكمين والمحكومين ــ ولا معروف أعرف من العدل ، ولا منكر انكر من الظلم .

ويُعلق الشيخ رشيد رضا على هذه الفقرة من كلام الاستاذ محمد عبده بقوله :

ومعنى الآية على هذا الوجه انه يجب أن تكون قوة المسلمين تابعة لهذه الامة التى تقوم بفريضة الدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فهى بمعنى مجالس النواب فى الحكومات الجمهورية ، والملكية المقيدة .

فكأن الآية بيان لكون أمر المسلمين شورى بينهم .

ومجىء النص الاول فى الذكر بصيغة الخبر يؤكد كونه فرضا حتما ــ كما عهد نظيره فى الاساليب البليغة .

والنص الثانى صريح فى الوجوب ، والضامن له الامة المخاطبة بالتكاليف فى أكثر النصوص .

وانما الآية الاخيرة تفصيل لكيفية الضمان .

ثم يمضى الشيخ رشيد رضاً فى سرد بقية آراء الاستاذ محمد عبده فيقول :

ان كون القائمين بالامر والنهى أمة يستلزم أن يكون لها رياسة تديرها . ويكون رئيس هذه الامة مصدر النظام وتوزيع الاعمال .

ومقام الرياسة يختار بالمشاورة – لكل عمل ، ولكل بلاد – من يكونون أكفأ للقيام بالواجب فيها ، لتكون أعمالهم مؤدية الى مقصد الامة العام .

ثم ان كون الامة الخاصة منتخبة من الامة العامة يقتضي أن تكون للعامة رقابة وسيطرة على الخاصة تحاسبها على تفريطها ، ولا تعيد انتخاب من يقصر في عمله (١) ..

والآية الاولى تثبت من غير شك أن القرآن قد وقف الى جانب الديمقراطية يمتدحها ويحض على القيام بها ، ومن قبل أن تكون هناك دولة عربية – لان الآية مكية – والسورة اسمها سورة الشورى . ولم تكن في مكة دولة ما قبل أن يهاجر النبي عليه السلام الى المدينة – وهذا هو الذي يجعل الدعوة دعوة أصيلة وليست بنت الظروف – انها دعوة الى مبادىء لابد من تحقيقها عمليا في المستقبل (٢) .

وموطن المشاورة ليست العقائد والعبادات وانما هي المصالح الدنيوية في أمور السلم والحرب السياسية والاقتصادية وما أشبه ، يقول : « والمراد أمر الامة الدنيوي الذي يقوم به الحكام عادة – لا أمر الدين المحض الذي مداره على الوحي دون الرأي اذ لو كانت المسائل الدينية كالعقائد والعبادات ، والحلال والحرام ، مما يقرر بالمشاورة لكان الدين من وضع البشر (٣) .

---

(١) تفسير المنار جـ ٤ ص ٤٥–٤٧ .

(٢) الدكتور محمد أحمد خلف الله : القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة ص ١٠٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٠ .

ويرى الشيخان أيضا أن الاخذ بنظام المشاورة أصلح وأسلم حتى ولو أخطأت الجماعة الرأى . فمعنى الآية — دم على المشاورة وواظب عليها كما فعلت قبل الحرب فى هـذه الغزوة — غزوة أحد — وان اخطأوا الرأى فيها . فان الخير كل الخير فى تربيتهم على المشاورة بالعمل — دون العمل برأى الرئيس وان كان صوابا لما فى ذلك من النفـع لهم فى مستقبل حكومتهم ان أقاموا هذا الركن العظيم — المشاورة .

ان الجمهور أبعد عن الخطأ من الفرد فى الاكثر .

والخطر على الامة فى تفويض امرها الى الرجل الواحـد اشد وأكبر (١) .

والديمقراطية من حيث هى مبدأ سياسى أو اجتماعى دعا اليه القرآن المجيد ، وامتدح القائمين به وعليه .

ان العودة الى الاسلام المصفى ، ترد الثقة والاطمئنان الى نفوسنا ، وتنشر الوية السلام فى العالم .

يقول « هوكنج » أستاذ الفلسفة بجامعـة هارفارد فى كتابه « روح السياسة العالمية » : « أن سبيل تقدم الدول الاسلامية ليس فى اتخاذ الاساليب المفترضة التى تدعى أن الدين ليس له أن يقول شيئا عن حياة الفرد اليومية أو عن القانون والنظم السياسية ، وانما يجب ان يجد المرء فى الدين مصدرا للنمو والتقدم .

قال : وأحيانا يتساءل البعض عما اذا كان نظام الاسـلام

---

(١) نفس المصدر : ص ١٩٩ .

يستطيع توليد أفكار جديدة ، واصدار أحكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية ؟

والجواب على هذه المسألة هو أن فى نظام الاسلام كل استعداد داخلى للنمو وأما من حيث قابليته للتطور فهو يفضل كثيرا من النظم والشرائع المماثلة .

والصعوبة لا تنشأ من انعدام وسائل النمو والنهضة فى الشرع الاسلامى ، وانما فى أنعدام الميل الى استخدامه .

ويقول : وانى أشعر أننى على حق حين أقرر أن الشريعة الاسلامية تحتوى بوفرة على جميع المبادىء اللازمة للنهوض.

***

وبعد ..

فأين الطريق ..؟!

ان طريق السعادة والهدوء والطمأنينة والامن والرخاء واضح لا التواء فيه .. انه التمسك بالقرآن المجيد ، فهو يهدى للتى هى أقوم ..

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » .

قالوا : ومن الغرباء يارسول الله ؟

قال : الذين يصلحون ما أفسد الناس » .

يقول الامام المراغى فى تفسيره : سيعود قريبا فى سرعة انتشاره فى العالمين ، كما انتشر أولا فى صورة رائعة سريعة ، يؤيد ذلك قوله تعالى فى الآية : « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون ».

والنور هو القرآن وهو محمـد : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » .

ويوم يعم نور الاسلام العالم ، سينعم بالحق .. والعدل .. والحرية .. والسلام .

فى هـذا الكتـاب

صفحة

نهضة دينية كبرى بالدقهلية

●● لم تشهد محافظة الدقهلية فى عهد الادارة المحلية ما شهدته من نهضة دينية طوال الاعوام الثلاثة الماضية ، وليس ادل على ذلك من استجابة المواطنين بالقرى والمدن الى هذه النهضة التى يرمز اليها فى المنصورة بجامع الفرقان المقام على البر الغربى أمام نفق الجمهورية الجديد والذى تكلفت اقامته ٤٠ الف جنيه قدم الاهالى منها ١٠ آلاف جنيه ومحافظة الدقهلية ٣٠ الف جنيه .

● وقد بلغ عدد المساجد التى اقيمت بالجهد الذاتى خلال العامين الماضيين بقرى المحافظة ومدنها حتى الان ٢٤٠ مسجدا تكلفت ٦٢٢ الف جنيه .. منها ٤٣ مسجدا بالمنصورة و ٣٦ مسجدا بالمنبلاوين و ١٧ مسجدا بأجا و ٢٤ مسجدا بميت غمر و ٨ مساجد بطلخا و ١٤ مسجدا بشربين و ١٨ مسجدا ببلقاس و ٥٠ مسجدا بدكرنس و ٢٧ مسجدا بالمنزلة .. قدمت لها محافظة الدقهلية ٢٠٠ الف جنيه لاستكمال اقامتها وتاثيثها وتزويد مكتباتها بالكتب الدينية .

ومن أهم المساجد التى يجرى اقامتها بالمنصورة الان جامع النصر الذى بلغت نسبة التنفيذ به ٨٠٪ وبلغت تكاليفه ١٥٠ الف جنيه اعتمد منها الى الان ٧٤ الف جنيه .

ومسجد الجمعية الشرعية بشارع بورسعيد بالمنصـــورة الذى انشىء بالجهد الذاتى وتكلف ٢٥ الف جنيه ومساجد اخرى عديدة منها :

● مسجد العمرى بطلخا الذى تكلف ٦ الاف جنيه .

● المسجد الكبير بطناح بتكاليف ٣٠ الف جنيه .

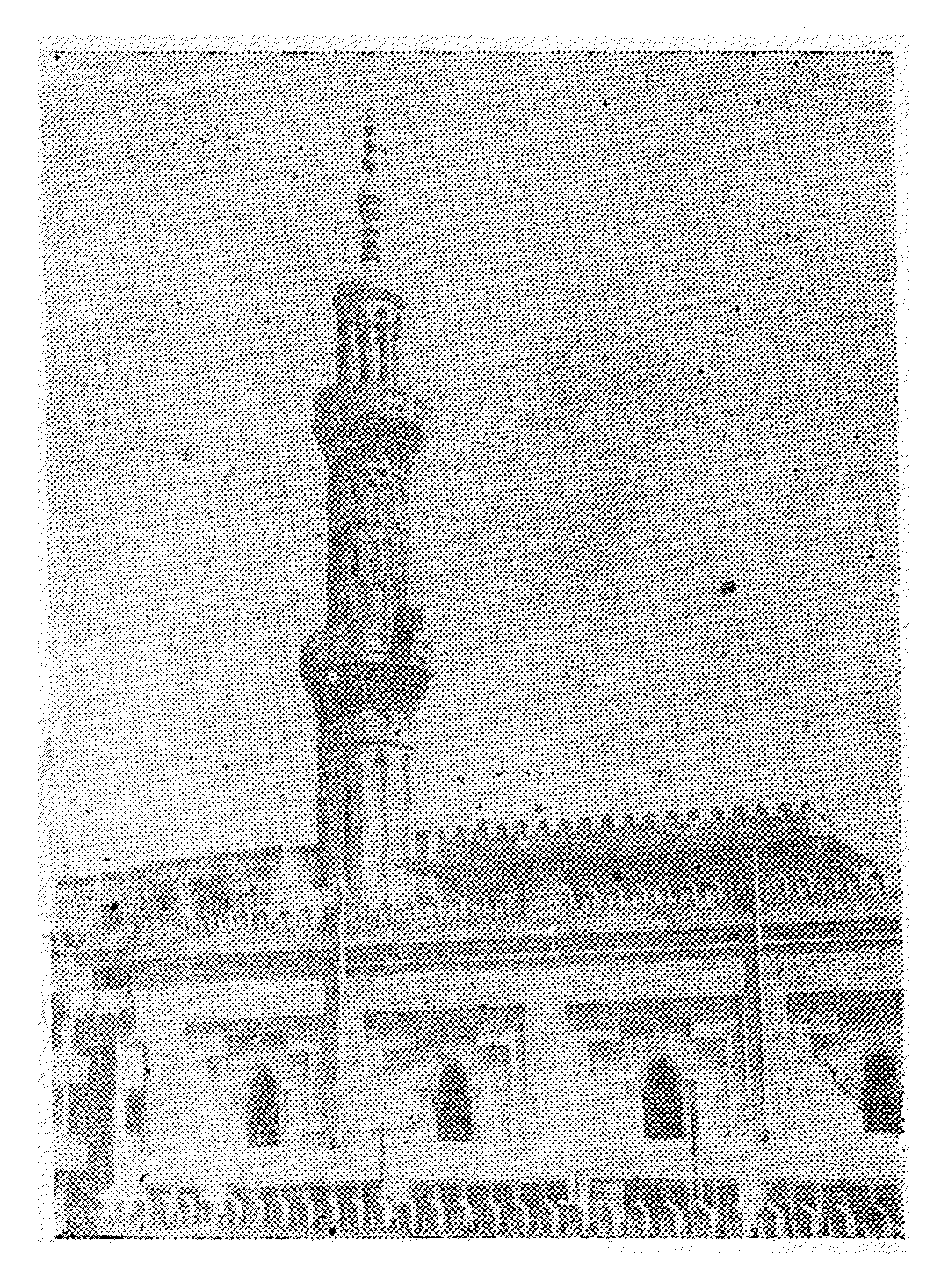
● مسجد سيدى ياسين بالمنصورة بتكاليف ١٢ الف جنيه .

●● وقد قدمت محافظـــة الدقهلية خـــلال العـــام الماضى فقط ١٥٦ الف جنيه منها ٧٥ الف جنيـــه لمساجد المركز و ٨١ الف جنيه اعتمـــدها السيد \ عبد الفتاح على أحمـــد محـــافظ الدقهلية كما قـــدمت المحـــافظة ١٨ الف جنيه لترميم مساجد المنصورة وهى :



عبد الفتاح على
المحـــافظ

العسوى ــ سيد سعد ــ الجمل ــ والسيد بدميره ــ وعشرة مساجد اخرى بالمراكز الرئيسية .



مسجد الجمعية الشرعية بالمنصورة
الذي اقيم بالجهد الذاتي .. وبمساعدة المحافظة

ولا ننسى هنا الجوامع الأثرية التى بدأ العمل فى اقامتها مثــل :

١ ــ سيدى القعقاع بن تميم بالمنزلة الذى يجرى اقامته بتكاليف ٦٠ ألف جنيه .

٢ ــ سيدى الشربينى بشربين والذى يجـرى اقامتـه بتكاليف ٦٠ ألف جنيه .

٣ ــ تجرى اعادة ترميم جامع الصالح أيوب بتـكاليف عشرة آلاف جنيه .

وكذلك ٦ جوامع يجرى تجديدها مثل :

المسجد الكبير بسندوب ــ مسجد أجا ــ مسجد طماى الزهايرة وسلكا والحواوشة والغمرى والسـادات والبازات

فى مجال التعليم الدينى

وفى مجال التعليم الدينى :

١ ــ يجرى الان اقامة المعهد الدينى الرئيسى بشربين بتكاليف ٢٥ الف جنيه لخدمة ٥٠٠ طالب .

٢ ــ يجرى الان اقامة المعهد الدينى الرئيسى بميت غمر بتكاليف ٢٠ الف جنيه لخدمة ٦٠٠ طالب .

والمعهد الدينى بدكرنس بتكاليف ٢٠ الف جنيه .

٣ ــ تم بدء خطة اقامة كتاتيب فى القرى عددها ٤٢٢ مكتبا لتحفيظ القرآن الكريم لخدمة ١٥٠ الفا من ابناء القرى بالدقهلية .

٤ ـ وقد أصدر السيد عبد الفتاح أحمد محافظ الدقهلية قرارا بالاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم ومنح الذى يتم حفظ القرآن نفقات التعليم ومكافأة قدرها ٥ جنيهات لكل من المحفظ والتلميذ .

عمارات الاوقاف

ونتيجة لنشاط الدقهلية فى تحصيل متأخرات ايرادات الاوقاف فى الأعوام الثلاثة الماضية والتى بلغت ٤ ملايين جنيه تم تخصيص ٢٥٪ منها وقدرها مليون جنيه لاقامة ٤٠ عمارة أسكان اقتصادى ومتوسط بمدن الدقهلية منها



عبد المنعم عبدربه
سكرتير عام المحافظة

٢٥٠ الف جنيه لعمارات المنصورة .

٣٠٠ الف جنيه لمجالس مدن ميت غمر ودكرنس وطلخا .

٦٦ الفا لعمارات الاسكان بشربين وقد بدأ العمل فى اقامة هذه العمارات هذا العام .

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

هذا الكتاب

يبحث عن مشاكل المسلمين فى العصر الحاضر .. وتقدمية الاسلام الخصبة وآراء المنصفين فى صلاحيته الدائمة لاقامة دولة عصرية على مر الأيام .. وكذلك يعالج أسباب تأخر المسلمين فى القرون الأخيرة .

الثمن ٧ قروش

